وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الفنون العرض

تخصص سينما وثائقية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر الموسومة بـ:

السينما الوثائقية والسّرانية

تحت إشراف

د. بومسلوك خديجة

إعداد الطالبة :

- شارف خوجة سعاد

لجنة المناقشة

د.شرقي هاجر	.....رئيساً
د.بومسلوك خديجة	.....مشرفا ومقرراً
د.بلعباسي كلثوم	..... عضوا مناقشاً

السنة الجامعية

2020/2019

كلمة شكر

أتقدم بالشكر والامتنان إلى أستاذتي المشرفة " بومسلوك خديجة " على كل ما بذلته من مجهودات وتوجيهات لإنجاح هذا العمل .

كما أشكر كل أساتذة قسم الفنون على مساعدتهم المستمرة في سبيل تشجيع البحث العلمي دون أن أنسى كل زملائي وعائلتي خاصة " أمي – أختي – خالتي " .

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من كان لهم الفضل في تمكيني من بلوغ هذا المستوى .

إلى كل من شجعني وأنار طريقي ، إلى كل من أهداني كلمة ، و طاقة إيجابية ، ونظرة جميلة للحياة

إلى كل من أخبرني أنّ الخالق فنان مبدع ، وأنّ الحياة حلم يجب أن نجعله جميل ، ليس بالضرورة الأشخاص ؛ بل أهدي عملي هذا إلى القمر والنجوم ، إلى الظلام والنور ، إلى الشمس وأمنا الأرض

إلى الأوراق والطبيعة ، إلى كل من ساهم في وجودي في هذا الوجود ، وكل من كان له دور في حياتي العلمية والعملية والخاصة .

مقدمة

المقدمة :

تعددت التصورات الإبداعية والنظريات النقدية التي خصت الفيلم الوثائقي بالتناول والاهتمام وأفرزت تراكماً إبداعياً ونظرياً ساهم في إغناء وتصنيف الأفلام الوثائقية ، باحثًا في اتجاهاتها وماهيتها وحدودها وأساليبها وخصائصها النوعية ، وخلق هذا الاهتمام دينامية على مستوى الممارسة والتنظير وساهم فيه مخرجون ومنظرون ، ونقاد كل في مجال اشتغاله في تفاعل مستمر وثّق الصلة بين الممارسة الإبداعية الفاعلة والتنظير النقدي المنتج ، وأفرز لنا هذا الاشتغال المتعدد الأوجه والمستويات تعدداً في الفيلم الوثائقي بوصفه جنساً إبداعياً ، وفنياً ، وتعبيرياً ، ودفعت به هذه الدينامية إلى تبوء مكانة خاصة في تاريخ السينما .

يعدّ الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي أحد تلك الأنواع التي تبلورت جراء تفاعل الممارسة الإبداعي ومثيلتها التنظيرية ، وتمكن من بداية السينما من تسطير مساره الخاص ، وشيّد لنفسه كينونته الخاصة ويفضل السينما وعلماء الأنثروبولوجيا ساهم الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي في إثراء المعرفة الإنسانية بقدرته على تسجيل ثقافات الشعوب موثقاً للذاكرة الانسانية في بعدها الكوني وعبر رهانه على الصورة ، تمكن من حفظ ممارسات سوسيو أنثروبولوجية لجماعات ثقافية ، وإثنية تحققت لها الخطوة وكانت إنتاجاتها الرمزية مادة خاماً إشتغل عليها رجال السينما الأنثروبولوجيا ، ويمكن إجمال مادة اشتغال الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي في الاشتغال على الثقافة والعادات والطقوس ، والممارسات المختلفة لشعب ما أو جماعة ما ، أو حتى أفراد معينين .

ومن بين هذه الممارسات المختلفة أخذنا بالخصوص التكلم في دراستنا عن التصوف والطرق الصوفية وذلك الارتباط الوثيق بين السينما والروحانية ، هذا الرباط الذي يتجلى في أخذه لكل من المخرج والممثلين والطاقم التقني وكل من يشارك في منتوج سينمائي والمشاهد في رحلة روحية لإكتشاف الذات سواء كان الشخص واعي برحلته أم لا .

فالروحانية في السينما سواء العربية أو الأجنبية ، لا تجد تعبير في الأفلام الدينية فحسب ، بل حتى في الأفلام المعاصرة ، وجميع أنواع الأفلام حيث نجد الأبعاد الروحية الجليّة ، وتضيء قوة الإيمان في النفس البشرية التي تساعد الإنسان على عبور الظلمة والمجهول بلا خوف ، واختراق الحواجز والعوائق وإدراك المعاني الغامضة للحياة .

إنّ مشاهدة الأفلام تصبح بدورها تجربة روحانية ، أفلام عديدة تدور حول الرحلات المادية والروحانية معاً التي تقوم بها الشخصيات بحثاً عن المعنى أو إحراز شيء ، أو الخلاص والتحرر ، أو التوحد مع الطبيعة والعالم رحلة الفرد الذي يرفض قبول الأجوبة الجاهزة أو السهلة ، والذي لا يكف عن طرح الأسئلة ، بهدها تحين ساعة العودة إلى الجسد ، وقد اكتسب المرء إدراكاً جديداً وفهماً مختلفاً .

انطلاقاً من هذا إندفعنا بكثير من الفضول لاستكشاف الكيفية التي يتفاعل بها الفيلم الوثائقي في دراسته لهذا النوع من الممارسات ، ولتحديد خطوات البحث الذي شرعنا في انجازه كان علينا الانطلاق نقطة البدء ألا وهي تحديد إشكالية واضحة وصريحة تشمل العمق الإجمالي لدراستنا وهي : كيف ساهم الفيلم الوثائقي في دراسة ثقافات وطقوس الشعوب ؟ وللإجابة على هذه الإشكالية العامة نطرح بعض الفرضيات :

– الفيلم الوثائقي تعمق في دراسة ثقافات الشعوب وكل الإنتاجات الرمزية لشعوب العالم عن طريق ارتباطه بالأنثروبولوجيا ، وتمكن رجل السينما من إدراك العمق الأنثروبولوجي ، واعتماده على الباحثين الأنثروبولوجيين الذين اجتهدوا في تحليل بيانات المجتمع ، ودراسة سلوكيات الأفراد وطريقة توظيف هذه المادة الواقعية كمادة مصورة للواقع .

اخترت موضوع هذا البحث بسبب دوافع ذاتية منها وموضوعية ، فالدوافع الذاتية تمثلت في الميل الطبيعي نحو هذا النوع الفن " السينما " إلى جانب حب الاطلاع ، والفضول الذي قادني إلى اكتشاف بحر التصوف وحب المعرفة ، بحيث اعتبرت مذكرة التخرج كمحفز لزيادة إثراء رصيدي العلمي في هذا الموضوع .

أما الدوافع الموضوعية فهي إلقاء الضوء على فرع قلما أعتني به ، ونظرا لانتشار شائعات كثيرة في هذا الموضوع و خلق صورة غير محببة عليه ولا تليق به بينما هو كنز من كنوز الخلق الذي أثر في الحياة الإنسانية والتاريخية والثقافية وحتى الفنية ، ودراسته دراسة أكاديمية .

قسمنا موضوع دراسة السينما الوثائقية والسرّانية إلى فصلين ، خصص الفصل الأول لماهية الفيلم الوثائقي والأنثروبولوجيا ، خصائصه ووظائفه ، أما الفصل الثاني يتحدث عن التصوف وأهم الطرق الصوفية وتعامل السينما الوثائقية معهما ، و الفصل الثالث فخصص للجانب التطبيقي الذي كان من الضروري التطرق إليه إلا أن الظروف الصحية الخاصة بجائحة كورونا حالت دون ذلك .

والمنهج المتبع في هذه المذكرة هو التحليلي الوصفي ، وأهم المراجع التي اعتمدت في هذا البحث هي:

– أيمن عبد الحليم نصار ، إعداد البرامج الوثائقية ، دار المناهج للنشر ، عمان ، الأردن ، 2007.

– أوفدر هايدي " باتريشيا " ، الفيلم الوثائقي ، مقدمة قصيرة جدا ، ترجمة : شيماء طه الريدي ، مراجعة : هاني فتحي سليمان ، ط01، 2013.

الفصل الأول

السينما الوثائقية و الأنثروبولوجيا

المبحث الثاني : الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي

المبحث الأول : الفيلم الوثائقي

المبحث الأول : الفيلم الوثائقي

1- نبذة تاريخية عن الفيلم الوثائقي :

لقد استخدم الفرنسيون **Le film documentaire** منذ ظهور اختراع " لويس لومير " لجهاز التقاط وعرض الصورة السينمائية المتحركة سنة 1895 ، " كان ذلك في البداية لتصوير فيلم الرحلات ، حين ذلك كان المصورون يقومون بذلك بهدف توثيق أوجه نشاطاتهم وتسجيل مشاهداتهم ، لإعادة عرضها على الأهل والأصدقاء من قبيل التذكار ، بينما تعتبر سنة 1923 المرة الأولى التي استعمل فيها مصطلح أو مفهوم الوثائقي ، وذلك للتعبير عن كل فيلم يستمد مادته من الوثائق المأخوذة من الواقع " [1] .

منذ بداية سنة 1949 تم استخدام مصطلح **documentariste** " الوثائقي " وهو الاسم الذي يطلق على السينمائي الذي يخرج أفلاماً فيها الفيلم الوثائقي بشكل كبير ، وظهرت العديد من الأفلام الوثائقية التي تروي قصصاً ، وأحقاباً تاريخية ، وبدأ بعدها الفيلم الوثائقي يأخذ أبعاده كعلم مستقل بذاته ، وكفن له مبدعوه " [2] .

2- مفهوم الفيلم الوثائقي :

يعتبر الفيلم الوثائقي جنساً ابداعياً متميزاً ، ومنذ اكتشاف السينما قبل أكثر من قرن ، استطاع أن يؤسس في مساره الطويل توجهاً خاصاً في الاشتغال ، فهو أحد الأجناس التي جعلت من واقع الحياة اليومية مادته الأساسية لأن فلسفة الفيلم الوثائقي تعتمد أساساً على الواقع واستنطاق حقائقه ، وكشف الواقع للوصول إلى أعماقه غير المرئية بشكل مباشر من خلال معالجة العدي من المشاكل الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والعلمية ، التي تعاني منها المجتمعات الانسانية [3] .

نستشف من هذا القول أن الفيلم الوثائقي ينطلق من الواقع إما بنقله مباشر وحرفي ، أو بالارتهان إلى إعادة تركيبه وتمثيله ، باختلاف زوايا معالجته ، حسب التصورات الابداعية والمنطلقات الفلسفية والجمالية لمبدعه بما في ذلك الاشتغال على الطبيعة والنبات والحيوان والفلم ...الخ ، إنه بواسطة مادة الاخبار ، والتعليم ، والتوثيق ، والكشف ، وشكل تعبيري مبني انطلاقاً من ما يطلق عليه " رؤية العالم " .

إذن الفيلم الوثائقي يطلعنا على عوامل وخبرات جديدة عن طريق تقديم معلومات واقعية شأن أناس وأماكن وأحداث حقيقية لكن الحقيقة وحدها لا تكفي ؛ بل تلزمها رؤية اخراجية تربط بين مختلف المعلومات والصور

---

[1] آرثر نايت ، قصة السينما في العالم ، سعد الدين توفيق ، دار الكتب العربي للطباعة والنشر ، طبعة القاهرة ، 1967، ص 23

[2] ابراهيم زرقاني ، مدارس واتجاهات الفلم الوثائقي ، مجالات الجزيرة الوثائقية الالكترونية ، **htpp/Doc .aljazeera /net .magazine consulté le 30-03-2020 a 18:05** ،

[3] مرشد السلوم كاظم ، سينما الواقع ، دراسة تحليلية في السينما الوثائقية ، دار أفكار للدراسات والنشر " دمشق " ط01، 2010، ص 11

الفوتوغرافية ، والمقاطع الصوتية والمصورة في بناء متماسك تخرج منه بقصة تمنعك في الوقت الذي تزودك فيه بالمعلومات "[1] .

تبلور مصطلح الفيلم الوثائقي انطلاقاً من ممارسة إبداعية مبكرة تميزت بالارتباك واللّبس ، فحين بدأ رواد الأعمال في أواخر القرن التاسع عشر لأول مرة في تسجيل أفلام لأحداث من واقع الحياة ، أطلق البعض على ما كانوا يصنعونه اسم " الأفلام الوثائقية " بيد أن المصطلح ظلّ غير ثابت لعقود [2]

تجلى هذا الالتباس الذي ارتبط بتسمية الفيلم الوثائقي – على الأقل في مرحلة البدايات – في استعمال مصطلحات متعددة أطلقها آخرون كالفيلم التعليمي ، الفيلم الواقعي ، أو مصطلحات تشير إلى الموضع المعالج في الفيلم كأفلام الرحلات ، كما نجد بعض الكتابات التي يستعمل فيها مصطلح " الفيلم التسجيلي " للتعبير عن الفيلم الوثائقي ، ويبقى أكثر تعريف متسم بالقدرة على الاستمرارية في التداول إلى الآن ، هو الذي قدّمه الاسكتلندي جون جريرسون بقوله :" الفيلم الوثائقي هو التجسيد الفني للواقع " [3] .

إذ يرجع استخدام عبارة **film documentaire** أول مرة إلى الفرنسيين ، وذلك فهي وصف أفلام الرحلات **film fe voyage** التي كانت تتناول موضوعات عن المكان أو الحدث ، أو الشخص ، أو أما بالنسبة لاستخدام المفهوم الوثائقي عند الانكليز فهو نوع من الأفلام التسجيلية الوثائقية **documentary film** ، و لم يقتصر هذا النوع من الأفلام عند الانكليز على تسجيل الحقيقة الواقعة ، وإنما يضاف إليها الرأي [4] .

أما في أوروبا فقد أحدثوا تغييرات في استخدام المصطلح فاستخدموا الفيلم الوثائقي **film documentaire** ، بعد أن شاع استخدام مصطلح الفيلم الوثائقي الإبداعي ، وفي الأقطار العربية شاع استخدام مصطلح الأفلام التسجيلية ، والأفلام الوثائقية مقابل **documentaire**

الفرنسية و **documentary** بالإنجيلزية [5] .

لا يزال الخلاف إلى الآن قائماً حول تعريف الفيك الوثائقي**Film documentaire**

وتحديد ماهيته ، هناك تعريفات عديدة له عبر مراحل تطور السينما في العالم ، منها ذلك الذي قدمه الاتحاد الدولي للأفلام الوثائقية 1948، حيث عرّفه كالتالي : " هو كافة أساليب التسجيل على فيلم لأي مظهر للحقيقة يتم عرضه

[1] **Documentry film .patricia Aufderheide .ox ford university .new York .2007.**

[2] أوفدر هايدي " باتريشيا " ، الفيلم الوثائقي ، مقدمة قصيرة جدا ، ترجمة : شيماء طه الريدي ، مراجعة : هاني فتحي سليمان ، ط01، 2013، ص11.

[3] أوفدر هايدي " باتريشيا " ، الفيلم الوثائقي، مرجع سابق ، ص 11.

[4] منى سعيد الحديدي ، الفيلم التسجيلي " تعريفه ، اتجاهاته ، أسسه ، قواعده " ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1982، ص ص 11، 12.

[5] فرح شو 0000، مسألة بين قوسين في النهوض بالوثائق العربية ، تونس ، مجلة الإذاعات العربية ، العدد 04، 2002، ص 8.

إما بوسائل التصوير المباشرة ، أو بإعادة بنائه بصدق وعند الضرورة ، هو نوع من الأفلام غير روائية التي لا تعتمد على القصة والخيال ؛ بل يتخذ مادته من الواقع سواء كان ذلك بنقل الأحداث مباشرة كما جرت في الواقع ، أم عن طريق إعادة تكوين وتعديل هذا الواقع بشكل قريب من الحقيقة الواقعية " [1].

تذهب الباحثة باتريشيا أوفدر هايدي إلى الوقوف عند بعض التعريفات البسيطة التي قد نجدها في التداول حين يتعلق الأمر بما يعنيه الفيلم الوثائقي من قبيل :

- ليس فيلماً سينمائيًا ، أو على الأقل ذا صبغة درامية .

- فيلم يخلو من الهزل ، فيلم جاد يحاول أن يعلمك شيئًا ما .

- فيلم عن الحياة الواقعية [2] .

كما يعرّف أيضًا بكونه " شكل متميز من الانتاج السينمائي يعتمد بشكل أساسي على العلاقة بين صانع الفيلم والواقع الحقيقي ، من خلال رؤيته وتحليله للواقع باعتماده شكلاً فنياً في تناوله لهذا الواقع " [3] .

- مميزات الفيلم الوثائقي :

بينما جاء الناقد والمخرج الاسكتلندي جون جريرسون **Grierson jihn** " بموصفات محددة للفيلم الوثائقي في جريدة **The New Work Sun** الأمريكية سنة 1926 لتمييزه عن غيره من الأفلام الروائية ، معتبراً أن الفيلم الوثائقي هو " المعالجة الخلاقة للواقع " [4].

1- يستمد الفيلم الوثائقي مادته من واقع المكان " الذي يتم فيه التصوير " ومن واقع الحياة " أدوار الأشخاص الحقيقية وليست مفبركة .

2-التمييز بين الوصف والدراما ؛ أي التمييز بين الأسلوب الذي يقتصر على مجرد وصف القيم السطحية للموضوع والأسلوب الذي يكشف عن دقائق الأمور وبصفة فعالة .

3- إختيار وتنظيم المادة المستمدة من واقع الحياة وترتيبها وتقديمها للمتلقي بأسلوب فني يعكس وجهة نظر مخرج الفيلم ، بمعنى الوصول إلى المعالجة الخلاقة للواقع ، وتقديم رؤية القائم بالاتصال في موضوع معين لجمهور مستهدف يعتمد على الواقع والحقيقة .

---

[1] أيمن عبد الحليم نصار ، إعداد البرامج الوثائقية ، دار المناهج للنشر ، عمان ، الأردن ، 2007، ص 4.

[2] مرشد السلوك " كاظم " ، مرجع سابق ، ص 13.

[3] ينظر : أوفدر هايدي " باتريشيا " ، الفيلم الوثائقي، مرجع سابق ، ص 29.

[4] محمود سامي عطا الله ، الفيلم التسجيلي ، الألف كتاب الثاني 188 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1995، ص 10.

4- لا يهدف إلى الربح المادي ؛ بل يهتم بتحقيق أهداف في النواحي التعليمية والثقافية ، أو حفظ التراث والتاريخ .

5- يخاطب عادة فئة أو مجموعة معينة من الجمهور .

6- يتّسم بالجديّة وعمق الدراسة .

ويذكر أيضًا الدكتور عبد الباسط سليمان في كتابه " الإخراج والسيناريو " مميزات الفيلم الوثائقي على النحو التالي [1] .

- غالباً ما يتضمن تعليق مصاحب للمشاهد أو الصور التي يستعرضها .

- غالباً ما يستند على اللقاءات والمقابلات مع المسؤولين ، أو من هم أصلاً موجودين في فحوى مجرى الأحداث .

- غالبا ما يتضمن ويستند على الوثائق .

- لا يضم شخصيات تمثيلية إلا ما ندر وبحالات محددة .

- غالباً ما يعتمد على مقدم أو معلق يقود موضوع الفيلم ويفصح عن محتواه .

- كثيراً ما يستند إلى التصوير الحقيقي للمواقع .

- الفيلم الوثائقي في أغلب الأحيان محصور في وقت محدد بين الدقيقة والساعة ؛ أي ان الفيلم الوثائقي قد يكون بدقيقة واحدة ، أو قد يكون بساعة ، أو قد يكون بعشر دقائق أو ربع ساعة [2].

4- خصائص الفيلم الوثائقي :

لقد حددها **geriesson** في ثلاث خصائص لا بد من توفرها لكي يصبح الفيلم وثائقيًا حقيقياً وهي : [3]

أ- اعتماد الفيلم التسجيلي عل التنقل ، والملاحظة ، والانتقاء من الحياة نفسها ، فهو لا يعتمد على موضوعات مؤلفة وممثلة في بيئة مصطنعة كما يفعل الفيلم الروائي ، وإنما يصور المشاهد الحية والوقائع الحقيقية .

ب- أشخاص الفيلم التسجيلي ومناظره ، يختارون من الواقع الحي ، فلا يعتمد على ممثلين محترفين ، ولا على مناظر صناعية مفتعلة داخل أستوديو .

---

[1] ينظر : عبد الباسط سليمان ، نقلا عن : عبد الحليم نصار ، المرجع السابق ، 2005، ص 111.

[2] ينظر : عبد الحليم نصار ، المرجع السابق ، ص 16.

[3] ينظر : أيمن عبد الحليم ، المرجع السابق ، ص 20.

ج- مادة افيلم التسجيلي تختار من الطبيعة ، دونما تأليف ، وبذلك تكون موضوعاته أكثر دقة وواقعية من المادة المؤلفية والممثلة .

5- أنواع الأفلام الوثائقية :

- **الأفلام الوثائقية الإخبارية :** في هذا النوع يدخل المصور إلى أماكن ليجمع التقارير المرئية عن الأخبار اليومية ويعرضها في شكل مشاهد سينمائية ، وتكون موضوعاتها من أرض الواقع وأحداث حقيقية [1] .

- **الأفلام الوثائقية التعليمة :** هذا النوع من الأفلام موجه للعلم وتلقينه بواسطة أدوات سينمائية ؛ حيث يساعد الفيلم الوثائقي في هذه الحالة على فهم المادة العلمية وتسيل عملية الدراسة وإعطاء الدروس البيداغوجية [2].

- **الأفلام الثقافية :** تذهب هذه الأفلام إلى نشر الثقافة العامة بين مختلف الفئات من المجتمع ، وحتى بين مختلف المجتمعات عبر بلدان العالم ؛ حيث يعتبر الوثائقي الثقافي وسيلة للتعريف بالثقافات والعادات المختلفة .

- **أفلام الرحلات :**هي أفلام تسجل مظاهر الحياة ، والمناظر السياحية لمختلف مناطق العالم ؛ حيث تعطي تعريفاً جماليًا لتلك المناطق ، وتنشر المعرفة وحب الإطلاع حول كل تفاصيلها [3].

- **الأفلام العلمية :** الأفلام الوثائقية العلمية تقوم بمعالجة وعرض الموضوعات العلمية الخاصة بشؤون الصحة والبيئة وتتميز باحتوائها على كمية من المعلومات ؛ حيث تعرض الموضوعات المعالجة بأسلوب علمي دقيق ، كما تتميز بعمق وتحليل الظواهر المختلفة [4] .

- **أفلام الدعاية :** أي فيلم سينمائي كان لا يخلو من الدعاية ، ونقصد بالأفلام الدعائية هنا تلك النوعية من الأفلام التي يكون الهدف الرئيسي فيها هو الدعاية لشيء ما بطريقة مباشرة ، أو غير مباشرة ؛ حيث يخلو أيضًا من الرؤية الاجتماعية ، لكن مما لا شك فيه هو توظيف المادة خدمة لغرض صاحب الفيلم [5].

- **أفلام تاريخية :** هي أفلام تروي أحداث الماضي بكل أبعادها الحضارية والسياسية والدينية [6] .

---

[1] نهلة عبد الرزاق الخالق ، دراسة تحليلية مضمون الأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة الوثائقية الفضائية لمدة 2011/4/1، إلى 2011/4/30، " مجلة كلية الآداب المستنصرية ، العدد 98" ، ص 419.

[2] تركي شهري ، أنواع الأفلام الوثائقية .**http://www.docupicture .com .0211/08/documenteries .Types 12h38.28/08/2020.**

[3] عاصم علي الجرادات ، معالجة الأفلام التسجيلية للصراعات السياسية ، سلسلة سري للغاية في قناة الجزيرة أنموذج " مذكرة ماجستير " ، منشورة ، جامعة الشرق الأوسط ، 2009، ص 37، 38.

[4] تركي شهري ، أنواع الأفلام الوثائقية ، مرجع سبق ذكره .

[5] عاصم علي الجرادات ، معالجة الأفلام التسجيلية للصراعات السياسية ، سلسلة شري للغاية في قناة الجزيرة ، أنموذج ، مرجع سبق ذكره ، ص 38.

[6] علي عزيز بلال ، الفيلم التسجيلي التلفزوني من الفكرة إلى الشاشة ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2013، ص 43.

– **أفلام السير الذاتية :** يعالج هذا النوع من الأفلام الوثائقية حياة الشخصيات المعروفة التي شكلت تجاربهم في الحياة نموذجا يحتذى به ؛ حيث تسلط الضوء على شخصية معينة من مختلف المجالات الفنية ، علمية ، سياسية ، فنية ، صانعوا التاريخ ، حيث تستثمر هذه الأعمال في عرض التراث القديم والمصور ، ويتم عرضه مدعوماً بالمقابلات والأحداث المعاصرة ، وعلى المخرج أن يقوم في إنتاج هذه النوعية من الأفلام بـ :

– رواية قصة حياة الشخصية حسب التسلسل التاريخي ؛ حيث هذا الأخير لا يستلزم الرواية من البداية إلى النهاية ، فبعض الأفلام تبدأ من النهاية ، وهي تعد كلمسة فنية من المخرج ورؤيته الخاصة.

– أن تروي الأحداث باستعمال صيغة الماضي " بسيط حتى وإن كانت الشخصية حية .

– أن يعتمد على الآخرين في رواية قصة حياة الشخصية ، ونقصد بالآخرين الأشخاص المتواجدين في محيط الشخصية الذين لديهم صلة بها ، بشكل قريب أو بعيد (أصدقاء ، عائلة ، أشخاص رسميين ، شهود) [1].

وإلى جانب الأنواع السابقة الذكر توجد أنواع أخرى نذكرها في النقاط التالية :

– الأفلام التدريبية .

– الأفلام الوثائقية السيحية .

– الأفلام التوعية والإرشاد .

– الأفلام الصحفي الوثائقي " الروبورتاج التلفزيوني " .

– الأفلام الفن

– الأفلام الفلك .

– أفلام بيئية والحياة البحرية .

– أفلام رياضية .

– أفلام إقتصادية .

[1] علي عزيز بلال ، المرجع نفسه ، ص ص 43، 44.

6- أهمية الفيلم الوثائقي :

قام الدكتور أين عبد الحليم نصار في كتابه " إعداد البرامج الوثائقية " بتحديد رؤية أكثر دقة ووضوحاً لأهمية الأفلام الوثائقية ، فمن بين أهم النقاط التي أدرجها فيه : هي المساهمة الفعالة لجنس العمل الوثائقي في تحسين الذوق العام للمشاهد عن طريق تقديم المعلومات الجيّدة والجديدة ، وبناء ثقافة تتماشى ومتطلبات العصر ، بالإضافة إلى إحياءه وعي الأمة المعبّر عن الهويّة والقيّم والأخلاق والثقافة ، وذلك باستذكار محتوى التاريخ القديم وربطه بالحديث ، وإعطاءه نظرة على المستقبل قصد نشر العادات والتقاليد و الأفكار بين مختلف الشعوب ، والتوعية للمجتمعات [1].

- الأفلام الوثائقية جزء من وسائل الإعلام التي لا تساعدنا فقط على فهم عالمنا ، ولكن على استيعاب دورنا فيه ، والتي تشكلنا بوصفها وسيلة إتصال جماهرية [2].

وهذا ما أكده ريتشارد أوفر هايدي في قوله :" إن الأفلام الوثائقية أداة تواصل مهمة في تشكيل الواقع [...] فهي تجذب وترفه عن المشاهد [3].

7- وظائف الأفلام الوثائقية :

تؤدي الأفلام الوثائقية عددا من الوظائف الهامة في مجال التعليم والإعلان ، والتسجيل التاريخي والدعاية من أجل تحقيق هدف أو غرض معين ، وأولى هذه الوظائف ما يلي :

أ- الوظيفة الإعلامية :تعد وظيفة الإعلام في الأفلام الوثائقية من الوظائف المهمة ؛ حيث تهدف إلى شرح المعلومات وتفسيرها ، وتعريف الانسان بالبيئة المحيطة به ، وهذه الوظيفة لها أهداف عدة ، وهي تزويد الناس بمعلومات جديدة تفيدهم في الحاضر أو في المستقبل ؛ حيث تساعدهم في تكوين رأي عام يؤيد المشاريع التي تقوم بها الدولة سواء كانت اجتماعية ، أو اقتصادية ، أو ثقافية ، أو سياسية [4] .

ب- الوظيفة الدعائية : تعد الأفلام الوثائقية من الوسائل المهمة في مجال الدعاية وترويج المعلومات ، ومن هذه الناحية يحقق الفيلم الوثائقي على المستوى الداخلي أهدافاً كثيرة تهدف السياسة الحكومية إلى نشرها بين صفوف الناس ، ويقوم بدور مهم في تجسيد دور الحكومة ومؤسسات الدولة وإبراز انجازاتهم في مختلف المجالات ، ومن ثم تكوين رأي عام مؤيد ومتعاطف مع أهداف الحكومة في هذه المشاريع [5] .

---

[1] ينظر : أيمن عبد الحليم نصار ، المرجع السابق ، ص 67.

[2] ضياء مرعي ، السينما التسجيلية في مصر ، 1977/18/06، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط01، 2004، ص 28.

[3] باتريشيا أوفر هايدي ، الفيلم الوثائقي مقدمة صغيرة جدا ، تر: شيماء طه الريدي ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، ط01، 2013، ص 12.

[4] كرم شبلي ، فن الكتابة للراديو والتلفزيون ، القاهرة ، مكتبة التراث الاسلامي ، بدون سنة نشر ، ص 211.

[5] المصدر نفسه ، ص 211.

أما على المستوى الخارجي أي الإعلام الدولي ؛ حيث أن الأفلام الوثائقية تصل إلى أنحاء العالم كافة ، والسبب يعود إلى كون الأفلام الوثائقية تعتمد بشكل أساسي على الصوت والصورة وعرض الواقع والصورة أصبحت لغة عالمية تعطي الفيلم الوثائقي إمكانيات كبيرة في إيصال تلك الرسالة ، لذا يستخدم الفيلم الوثائقي في الدعاية السياسية والاقتصادية ، والسياحية ، ...الخ .

ج- الوظيفة التعليمية : تستخدم الأفلام الوثائقية استخداماً فعالاً في مؤسسات التربية والتعليم إذ تستخدم في مجال تعليم الطلبة وتزويدهم بكثير من امهارات والمعارف الجديدة ، وتساهم في إثراء المعلومات وتفسير المسائل المعقدة وإيضاحها ، وقد تستخدم الأفلام الوثائقية كوسائل إيضاح في الفصول الدراسية في المدارس والمعاهد والجامعات ، وتستخدم في المهارات الفنية والحرفية في العديد من المجالات الأخرى [1] .

د- وظيفة التسجيل والتوثيق : تعد وظيفة التسجيل والتوثيق من الأمور الهامة ، ولهذا تعد هذه الوثيقة جزءاً من عملية التوثيق والتسجيل الإعلامي ، إذ تستخدم الأفلام الوثائقية في تسجيل الأحداث والوقائع وتوثيقها من البيئة الاجتماعية السياسية ، والثقافية ، واستخدامها كوثيقة تاريخية تسجل مولد الحدث ؛ حيث تساهم هذه الوظيفة في نقل التجارب والخبرات ووضع التراث ، والمحافظة على التاريخ وتوثيقه في الماضي ونقله إلى الحاضر .

وتعد وظيفة التسجيل والتوثيق من الأمور في عملية التوثيق والتسجيل الإعلامي ، وغالباً ما تكون هذه العملية من أولويات اهتمام المؤسسات الحكومية التي تهتم ببحوث التاريخ ، وتوفير الوثائق التاريخية للبحث ووضعها أمام الباحثين إذ تحفظ هذه الوثائق مثل الأوراق الرسمية ، والوثائق المكتوبة ، وأفلام الفيديو ، وأشرطة الصوت ، ففي أفلام الفيديو غالباً ما يصاحب بيان وصفي للمعلومات المتوافرة مع الفيلم ، وتستخدم في تسهيل مهمة تركيب الفيلم والتعليق عليه وشرحه [2].

[1] محمود سامي عطا الله ، الفيلم التسجيلي ، الألف كتاب " ثاني 188، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، القاهرة ، 1995، ص 17.

[2] محمد علي الفرجاني ، فن الشريط التسجيلي ، القاهرة ، الدار العربية ، بلا تاريخ ، ص 27.

المبحث الثاني : الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي

1- ماهية الأنثروبولوجيا :

تحيل كلمة الأنثروبولوجيا إلى دراسة سلوك الإنسان ونشاطها ، وتعود إلى الأصل اللاتيني المتكون من كلمتين " **Anthropo** ؛ أي الإنسان ، و **Logos** تعني الدراسة ، ومنه يمكن استخلاص أن الأنثروبولوجيا تعني دراسة الإنسان [1] .

بالرغم من الجدال الذي ما زال غير محسوم في أمره حول البداية الأولى للأنثروبولوجيا اختلاف المنطلقات التي ينطلق منها كل باحث في تعريفها ، بين من يقترح العودة إلى الأصول الغابرة باعتبار أن الانسان مارس الأنثروبولوجيا بشكل عفوي ، عبر رغبته في اكتشاف الآخر ، ومن يقترح الانطلاق من كتابات الرحالة المستكشفين للشعوب البعيدة ، أو من ينظر إلى الأنثروبولوجيا كعلم مؤسس على قواعد ومناهج يتقاسم الكثير منها مع العلوم الاجتماعية الأخرى .

مهما يكن فنحن نعتقد أن تعريف الأنثروبولوجيا يجب أن يفرق بين أمرين أساسيين: أولهما، هو استحضار " الأنثروبولوجيا كممارسة " لازمت سلوك الانسان منذ القدم ، لجأ إليها ومارسها – ومازال بعفوية في سعيّه للتواصل مع الغير ، عبر التعرف عليه ، واستكشاف ما يميّز سلوكه وخصوصيته الثقافية والاجتماعية ، وثانيهما : ويتعلق بـ " الأنثروبولوجيا كعلم " ظهل إبان عصر التنوير في أوروبا [...] ؛ حيث تمت كشوفات جغرافية وثقافية لا يستهان بها ، لبلاد ومجتمعات مختلفة خارج القارة الأوروبية [2] ، وتطور مع مرور الوقت وأصبح علماً قائماً بذاته ، يهدف حسب كلود ليفي شتراوس غلى معرفة كلية وشمولية للإنسان في علاقاته بامتداداته التاريخية ومحيطه الجغرافي [3]

مع استحضار الإسهامات الثرية التي راكمها الفكر الإنساني فيما يسميه فهي حسين : " بواكير التفكير الأنثروبولوجي " [4] .

تجدر الإشارة ونحن في صدد تحديد ماهية الأنثروبولوجيا إلى الاختلاف بين الفرانكوفويين و الإنكلوساكسونيين بين ما يطلق الإثنوغرافيا الأنثروبولوجيا ، فما يدرجه الأمريكيون تحت عبارة " الأنثروبولوجيا الثقافية " يصطلح الفرنسيون على الإشارة إليه بالأثنولوجيا ، أو الإثنوجرافيا في بعض الأحيان ، وهم يدرسونها تحت مظلة علم الاجتماع ، أما

[1] مصطفى اسماعيل" فاروق "، الأنثروبولوجيا الثقافية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1980، ص 11.

[2] الشماس " عيسى " ، مدخل إلى علم الانسان " الأنثروبولوجيا " دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004، ص 7.

[3] تيلوين " مصطفى "، مدخل عام في الأنثروبولوجيا ، دار الفرابي " بيروت " ط01، 2011، ص 02.

[4] ينظر : فهمي حسين ، قصة الأنثروبولوجية ، فصول في تاريخ علم الانسان ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 98، المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت ، فبراير ، 86 .

الانجليز فقد اختاروا تسمية أخرى وهي " الأنثروبولوجيا الاجتماعية " [1] ، كما أن هناك اختلافاً أيضًا بين الأوربيين أنفسهم فنجد الألمان مثلاً يستخدمون مصطلح الأنثروبولوجيا للإشارة إلى دراسة الطبيعة للإنسان في حين يستخدمون مصطلح إثنولوجيا للإشارة إلى " علم الشعوب " .

ولعل من ضمن جميع التعريفات التي سبق ذكرها ، لذا نجد أحسن التعريف الذي قدمه شاكر سليم في قاموس الأنثروبولوجيا الصادر سنة 1981 ، بقوله " إن الأنثروبولوجيا هي علم دراسة الإنسان طبيعية واجتماعيا وحضارياً[2] .

2- تعريف الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي :

يؤطر الاشتغال لصياغة فيلم وثائقي أنثروبولوجي بمبدأين أساسين ، المبدأ الأول : يتعلق بتحقيق إبداعية خلاقة للواقع تأكيدا لتعريف غريرسون ، وهذا هو العقد الذي ينتظر المشاهد تحققه والالتزام به أثناء تلقيه لأي فيلم وثائقي ، لأننا نتوقع أن يكون الفيلم الوثائقي تجسيداً منصفاً وصادقاً لتجربة شخص ما مع الواقع [3] ، هذا المبدأ يشترك فيه الوثائقي الأنثروبولوجي مع بقية أنواع الوثائقية ، أما المبدأ الثاني فيتمحور حول مادة اشتغال الوثائقي الأنثروبولوجي ، وحول البحث في ثنايا اليومي ، عن كل ما هو أنثروبولوجي بشكل ما ، وهذا المبدأ الثاني ، هو الذي يحدد ماهية الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي ويميزه عن الأنواع الوثائقية الأخرى .

وعلى هذا الأساس يمكن أن نقترح تعريفاً للفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي بكونه فيلماً وثائقياً يرتكز في اشتغاله على مادة خام ذات عمق أنثروبولوجي ، كالثقافة والعادات والتقاليد ...الخ ؛ أي كل ما يشكل مصنفات أنثروبولوجية لجماعة ما ، أو لشعب من الشعوب ، سواء صنف هذا الشعب ضمن المجتمعات البسيطة أو المركبة ، لأن الأنثروبولوجيا لم تعد تقتصر في اهتمامها على المجتمعات البسيطة " القروية " ؛ بل حتى المركبة " الحضرية " .

3- أنواع الفيلم الوثائقي :

أ- الوثائقي الإثنوغرافي :

تعالقت السينما و الإثنوغرافيا حول نفس النشاط : تعيين ، ملاحظة ، والتسجيل ، بل حماية هذه المجتمعات ، الشواهد التي اعتبرت كمراحل أو انحرافات جامدة على طريق تقدم النوع البشري نحو حالة أكثر تطوراً [4]، وعرفت

---

[1] فهي " حسين " ، قصة الأنثروبولوجية – فصول في تاريخ علم الانسان ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 98، المجلس الوطني للثقافة والآداب – دار الكويت ، فبراير ، 1986، ص 16.

[2] المرجع نفسه ، ص 17.

[3] أوفدر هادي " باتريشيا " ، مرجع سبق ذكره ، ص 11.

[4] المرجع نفسه ، ص 11.

السينما الإثنوغرافية برائدها فلاهرتي الذي بدأ هذا التوجه في الاشتغال السينمائي ، وبلّور أسلوب جديد سمي " بالسينما المباشرة " ، كما ساهم الأنثروبولوجيون الفرنسيون أمثال مارسال كغيول **Macel Gricuele** ، جيرمين ديتيرلين **Germaine Dieterlen**

وجون روش **Jean Rouch** في جعل الكاميرا أداة أساسية في البحث الإثنوغرافي .

يعرف الفيلم الإثنوغرافي من طرف المسؤولين عن مهرجان مارجريت ميد للسينما ، الذي ينتظم كل سنة بالمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي بكونه فيلماً عن الثقافات الأخرى ، أو الشعوب الغربية ، أو العادات والتقاليد [1]، ويشترط جاي روبي لتحقيق الفيلم الإثنوغرافي ليس فقط الاشتغال على تناول ثقافات وعادات الشعوب ؛ بل أيضًا إذا أنتج الفيلم على يد عالم إثنوغرافي مدرّب ، باستخدام الوسائل الميدانية الإثنوغرافية ويهدف تقديم مادة إثنوغرافية يقيمها خبراء في المجال [2].

ب- الوثائقي الإثنوموسيقي :

إذا كانت الإثنوغرافيا هي البحث الذي ينهض على ملاحظة وتسجيل طريقة الحياة في ثقافة [...] معينة بدرجة عالية من الدقة [3] .

والدقة العالية هنا ، ليست سوى الوصف الشامل دون اغفال أية جزئية فإن الكاميرا عين لاقطة ومسجلة لكل شيء يقع أمامها ، مما يعني أن الكاميرا حين تلتقط بشكل وصفي تفاصيل حياة ثقافية في تمظهراتها الموسيقية " أهازيج ، رقصات ..." ، داخل جماعة ما ، فهنا يمكن توصيف الأمر بفيلم إثنوموسيقي ، إنه ببساطة فيلم يشتغل من داخل تصور إثنوغرافي " أو أنثروبولوجي " على إحدى الإنتاجات الثقافية الموسيقية .

ج- الوثائق الإثنوتخييلي :

فيم يجمع بين الوثائقي والمتخيل ، فعبر السرد الخيالي المؤسس غالباً على الارتجال ، أو بناء تصور للمشاهد ، يدفع صانع الفيلم بالممثلين للاندماج في واقع ثقافي موضوعي ، إنه تصور متخيّل مبني على واقع سوسيو –أنثروبولوجي حقيقي ، يعرّف جون روش رائداً من رواد هذا النوع ، وغالباً ما يعتمد هذا التوجه في الاشتغال على ممثلين محترفين عوض أشخاص عاديين من الجماعة الثقافية ، لأن أفضل وسيلة لتحقيق أهداف الفيلم في المطابقة الواقعية ، وكذا التأثير المطلوب في المتلقي ، كما يقول أرنست كند جرن : هي انتقاء نماذج معينة من الناس ، ولابد لتنفيذ ذلك من

[1] أوفدر هادي " باتريشيا " ، مرجع سبق ذكره ، ص 104.

[2] المرجع نفسه ، ص 104.

[3] الجوهري " محمد محمود " ، أسس البحث الاجتماعي ، دار المسيرة للنشر و التوزيع والطباعة ، ط02، 2012، ص 282.

الاستعانة أكثر فأكثر بممثلين مدربين على تصوير الشخصيات الإنسانية ، وما يصاحب هذا النمو من عمق فكري وعاطفي [1] .

ومن هنا يمكن إجمال مادة اشتغال الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي أساسًا و حصريًا في : كل ما هو أنثروبولوجي وتفصيلياً في : الاشتغال على الثقافة ، والعادات ، والطقوس المختلفة ، والموسيقى والرقص ، والحضارة في شكلها المادي واللامادي وكل الاتجاهات الرمزية لشعوب العالم ، أو كل ما يحيل إلى العمق الأنثروبولوجي لشعب ما ، أو جماعة ما ، أو حتى أفراد معينين مهما كان موقعهم في الفضاء الاجتماعي ، لأنّ العمق الأنثروبولوجي منقوش في عادات الأفراد ، ويمكن إدراكه في توفر الباحث " رجل السينما " على الأدوات المنهجية والمعرفية القادرة على تمكينه من تحليل بنيات المجتمع واستنطاق سلوكيات الفاعلين في حقوقه و فضاءاته .

4- أسلوب الوثائقي الأنثروبولوجي :

يمكن تعريف الأسلوب بأنه : معالجة التجسيد البصري للقصة [2] ، ومعالجة الفيلم تظهر الجانب الذي اختاره المخرج [3]، ولا يختلف كثيراً الفيلم (الوثائقي الأنثروبولوجي كفرع داخل الجنس الوثائقي ، عن الأنواع الفرعية الأخرى ، ويتقاسم معها الكثير من الخصائص الأسلوبية ، كما يتقاسم البعض منها أيضًا مع الجنس الروائي ، فمخرجوا الأفلام الوثائقية تتوفر لديهم مجموعة كبيرة من خيارات الشكل للتعبير للمشاهدين عن صحة ما يعرضونه لهم وأهميته [4] .

إن التوجه الأساسي في الأفلام الوثائقية الأنثروبولوجية – منذ البدايات الأولى – هو الرهان على شاعرية ما يقدم عبر الاستناد على الصمت ، والوجوه واللقطات الغريبة ، والمشاهد في شكلها العفوي لإضفاء العمق على الفيلم ، بالتالي تحقيق سينما قريبة من الموسيقى ، وهو المنحى الذي اختاره فلاهرتي ، إذ يقول : أنا لا أعتمد تقريباً إلا على الصورة للتعبير عن فكري على الصورة والصوت ، وأني على ثقة أنّ هناك روابطاً أشد بين الموسيقى " في تناولها كوسيلة صوتية " ، وبين الصورة أكثر مما بين الكلمة والصورة ، نستطيع تقريباً أن نقول كل شيء بالصوت والصورة ، ولا نستطيع قول شيئًا بالكلام [5] .

---

[1] مرشد السلوم " كاظم " ، مرجع سبق ذكره ، ص 52.

[2] تي برو فيريس " نيكولاس " ، أساسيات الإخراج السينمائي – شاهد فيلمك قبل تصويره ، ترجمة وتقديم :أحمد يوسف ، المركز القومي للترجمة ، " القاهرة " ، ط01، 2014، ص 273.

[3] ديك " برنارد" ، تشريح الأفلام ، ترجمة : محمد منير الأصبحي ، منشورات وزارة الثقافة ، المؤسسة العامة للسينما ، " دمشق /سوريا " 2012، ص 296.

[4] أوفدر هايدي " باتريشيا " ، مرجع سابق ، ص 17.

[5] التلمساني " عبد القادر ، فنون السينما ، إعداد وترجمة : المشروع القومي للترجمة ، القاهرة 2001، ص 55.

إنها إمكانية تتاح للمشاهد لرؤية ما لم يكن بالإمكان رؤيته ، أو رؤية ما لم يألف رؤيته عادة ، عبر استنطاق المرئي ، إنّها ببساطة اختيارات جمالية تعني التغلغل إلى أعماق اللامرئي ، وجعله مرئيًا ليتحول الفيلم الوثائقي إلى قصيدة مرئية تستطيع توحيد خبرة الحواس المختلفة [1]

[1] أوفدر هايدي " باتريشيا " ، مرجع سابق ، ص 21.

الفصل الثاني

التصوف والطرق الصوفية وتعامل السينما الوثائقية معهما

المبحث الأول : التّصوف والطرق الصوفية

المبحث الثاني : الطرق الصوفية وأهمها

المبحث الثالث: نماذج عن السينما الوثائقية والسرانية

المبحث الأول : التّصوف والطرق الصوفية

أفتتح موضوع بحثي هذا بإطلاقية للبروفيسور ألكسيس كارل في مسطوره " المناجاة " [1]:

" إنّ المجتمع القديم كان من حيث المبدأ مجتمعاً دينيًا ، وكان المحور الذي يدور عليه تنظيم بناء المدينة معلماً دينياً من معبد أو مزار " .

فالتاريخ لا ينقل لنا قصة إنسان إلاّ ويروي إلى جانبها قصة الإله الذي كان يُعْتَقَدُ به ، دعك أنّ تصور مفهوم " المجتمع " بلا دين أمر غير ممكن في حدّ ذاته ، بحسب اعتقاد عالم الاجتماع الفرنسي الشهير إيميل دوركهايم " [2] .

ومن هذا المنطلق من الضروري أن نتطرق لبعض المفاهيم الأساسية في بحثي هذا ، وهي :

مفهوم الدين : صنع عالم الأديان " بردنوف " في كتابه " علم الديانات " تعريفًا خاصًا للدين ، يقول فيه :" الدين هو عبادة ، والعبادة عمل مزدوج ، فهي عمل عقلي به يتعرف الانسان بقوة سامية وعمل قلبي واستعطاف ومحبة يتوجه بها إلى رحمة تلك القوة " .

يعرّف " عبد الله دراز " الدّين في كتابه ، الدين وضعى إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات [3] .

عرّف مؤرّخ الأديان " مرسيا إياد " **M.Elliad** الدّين في كتابه " المقدّس والدنيوي " تعريفًا جديداً عندما قال :" يتجلى المقدّس الديني دائماً كحقيقة في صعيد آخر غير صعيد الدنيوي ، وينقسم الوجود إلى عالمين ، عالم مقدّس وعالم دنيوي ، وبحلول المقدّس في الدنيوي وتطلع الانسان من الدنيوي إلى المقدس نكون قد وصلنا إلى تلمس ماهية الدين [4] .

المفهوم الأنثروبولوجي للدّين :

في مجال الأنثروبولوجيا يعتبر الدّين عنصر ثقافي تجري عليه قوانين كل ثقافة إنسانية بالمعنى الأنثروبولوجي للثقافة ، فهي بنية أوليّة يمكن أن تسعفنا في فهم الظاهرة الدينيّة داخل المجتمعات الانسانية بأكملها .

---

[1] راجع المناجاة ، ألكسيس كارل ، ترجمة : علي شريعتي ، طهران ، 1961،

[2] علي شريعتي ، معرفة الاسلام ، دار الأمير ، بيروت ، طبعة أولى ، ص 156

[3] محمد عبد الله دراز ، الدين " بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان " مطبعة القاهرة ، 1979، ص 69.

[4] خزعل الماجدي ، بخور الألهة " دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين " ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط01، عمان ، الأردن ، 1998،م ، ص 79.

يعرّف إدوار تايلور **E.Taylor** الدين في كتابه " الثقافة البدائية " ؛ حيث يقول : بأنّ الدين لا يقتصر على الايمان بكائن أعلى ، لأنّ مثل هذا الإيمان مرحلة متطورة من تطور الحياة الدينية ، ومن الأفضل وضع حد أدنى لتعريف يقتصر على الايمان بكائنات روحية هي أنّ الكائنات تمتلك قوى وخصائص تتفق مع ما لدى البشر ، وهذه الكائنات تتمتع بالوعي والإرادة ، ولذلك فإنّ العلاقة معها تتميّز بمحاولة للتأثير عليها واستمالتها بالوقوف إلى جانب الانسان ، سواء بالكلمات المناسبة أو الذبائح والقرابين وما إليها ، صاغ "جيمس فريزر **J.Faizer** " في كتابه (الغصن الذهبي)مفهوماً للدين ؛ حيث يرى أنّ الدّين هو عملية استرضاء وطلب عون قوى أعلى من الانسان يعتقد بأنّها تتحكم في الطبيعة والحياة الانسانية ، وهذه العملية تنضوي على عنصرين : نظري ، وتطبيقي عملي ، فهناك أولاً الاعتقاد بقوى عليا ، تتلوه محاولات إسترضاء هذه القوى ، ولا يصّح الدين بغير توفر هذين العنصرين ذلك أنّ الاعتقاد الذي لا تتلوه ممارسة هو مجرد لاهوت فكري ، أمّا الممارسة المجرّدة عن أي اعتقاد فليست من الدين في شيء[1] .

من هنا يكتشف الأنثروبولوجي معنى أنّ الدّين ظاهرة إجتماعية بشرية مكرّسة لخدمة الجماعة وتحقيق الهدف من عملية تجمع أفرادها ، وأيضًا حماية هذا الهدف ، بالتالي يكون الدين في جذور نشأته التاريخية فعلاً إجتماعيًا يهدف لتحقيق غايات إجتماعية يأتي بمقدمتها الحفاظ على كيان المجتمع وضمان تماسكه وتحقيق شخصيته وحمايته من التفكك ، وكل هذا يتم تحقيقه من خلال فكرة المقدّس.

يتكون الدين في كل مكان وزمان من مكونات أساسية ثلاثة هي : " المعتقد ، الطقس ، الأسطورة "

وهناك مكونات ثانوية للدين التي تظهر بصفتها عوامل مساعدة ومشروطة بسياقات تاريخية إجتماعية وهي الأخلاق والشرائع .

1- المعتقد : يتألف المعتقد عادة من عدد الأفكار الواضحة والمباشرة التي تعمل على رسم صور ذهنيّة لعالم المقدسات وتوّضح الصلة بينه وبين الإنسان ، وغالبًا ما تصاغ هذه الأفكار على شكل صلوات وتراتيل ، فضمن هذا شكل من الأدب الديني نستطيع البحث عن المعتقدات الأصلية والمباشرة لجماعة من الجماعات ، ويأخذ المعتقد أو أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الإنفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني ، ويبدو أنّ توصل الخبرة الدينيّة شكلها المعقول الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها ، فبعد تلك المواجهة الانفعالية مع القدسي في أعماق النفس ، يتدخل عقل الإنسان من أجل صياغة مفاهيم من شأنها إسقاط التجربة الداخليّة على العالم

[1] جيمس فريز ، الغصن الذهبي " دراسة في السحر والدين " ترجمة : أحمد أبو زيد ، ج01، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط02، القاهرة ، 1998م ، ص 37.

الخارجي ، وموضعه القدسي هناك ، وهنا يتم فرز موضوعات معينة ، أو خلق شخصيات وقوى معنوية تستقطب الإحساس بالمقدّس وتجذبه إلى خارج النفس وبذلك تتكون الصيّغ الأولية للمعتقدات [1] .

2- الطقس : يمثل الطقس الجانب الانفعالي والعمل من الدين ، وعن طريق الطقس يظهر المعتقد من كوامنه الذهنيّة والنفسيّة إل عالم الفعل ، وإذا كان المعتقد حالة ذهنية ، فإنّ الطقس حالة فعل من شأنها إحداث رابطة ، وإذا كان المعتقد مجموعة من الأفعال المتعلقة بأسلوب التعامل مع ذلك العالم ، فهو عملية اقتحام لعالم المقدّس ، وفتح قنوات اتصال دائمة معه .

وتعتمد الديانات السحريّة والبدائيّة على الطقوس أكثر من اعتماده على المعتقد وتضمحل الأساطير فيها ، فالطقس هو الفعل الديني الواضح الذي يقوم به شخص صاحب كاريزما تختلف تسمياته حسب الديانات .

3- الأسطورة : تظهر الأسطورة من المعتقد الديني وتكون إمتداداً طبيعيًا له ، فهي تعمل على توضيحه وإغنائه وتثبيته في صيغة تساعد على حفظه وتداوله بين الأجيال ، كما أنّها تزوّدك بذلك الجانب الخيالي الذي يربطه بالعواطف والانفعالات الإنسانية [2] .

تحاول الأسطورة أن تجّسد المعتقد بروح شعبيّة قصصيّة متداولة ، فهي تبسط المعتقد دنيويًا مسيراً على شكل حكاية تتداول حول المقدّس الذي هو جوهر المعتقد ، والأسطورة من جانب آخر حقيقة وليس خيالاً ، فهي ليست قصة تروى ؛ بل هي في نظر هؤلاء الناس حقيقة تعايش لأنّها تختلف في طبيعتها عن الروايات الخياليّة التي نقرأها في الأدب الحديث ؛ بل إنّها تمثل حدثًا أو أحداثًا يعتقد أفراد المجتمع البدائي بأنّها وقعت في الماضي السحيق ، ويعتقدون باستمرار تأثيرها في مصائر البشر ، فالأسطورة في نظر البدائيين تشبه القصص الواردة في الكتب المقدّسة في الديانات السماويّة كقصة الخليقة مثلاً [3] .

3- الأخلاق : يعرف الخلق في اللغة العربيّة بالطبع والسجيّة لأنّ صاحبها قد قدر عليها ، وفي مقولة أخرى هي الدين والمروءة ، قال العلاّمة ابن فارس " الخاء واللام والقاف أصلان ، أحدهما تقدير الشيء ، والآخر ملامسة الشيء " [4] .

---

[1] فراس السواح ، دين الانسان ، " بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني " ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق ، ص 47، 48.

[2] فراس السواح ، المرجع السابق ، ص 56، 57.

[3] المرجع نفسه ، ص 56، 58.

[4] إيهاب كمال أحمد ، " 2014/04/22" ، تعريف الأخلاق في اللغة والشرع والاصطلاح " **www.alukah .net** ، أطلع عليه بتاريخ : 2020/08/05 " بتصرف " .

والأخلاق في الاصطلاح هي هيئة راسخة في النفس يصدر عنها العديد من الأفعال بشكل سهل وميسر دون الحاجة للتروي أو التفكير ، فمن الممكن أن يصدر عن هذه الهيئة أفعال مذمومة أو محمودة [1] .

4- الشرائع الدينيّة :

الشرائع هي جزء من الأخلاق العامة ، وقد تمّ تأييدها بالعقوبات التي تفرضها السلطة القائمة ، وأول القواعد التشريعيّة لم تكن سوى قواعد أخلاقيّة ذات قيمة استثنائية لنظام الجماعة ، جرى دعمها بالقوانين التي تلزم الأفراد بها فالسرقة مثلاً : تبعث مسألة من مسائل الأخلاق العامة التي تجد مؤيداتها في الروائع الذاتيّة ، إلى أن تؤيد بعقوبة تفوضها الجماعة ، عندها تتحول إلى قضية تشريعيّة رغم استمرار انتمائها إلى المجال الخلقي .

- بما أنّ الدين ظاهرة إجتماعية ؛ حيث لا يكاد لا يخلو منها أي مجتمع بشرى مهما كان حجمه على الإطلاق بمعنى أنّه يتمتع بخاصيّة العالمية **Universelle** وبتعدد المجتمعات تعددت أديان ومعتقدات الشعوب على اختلاف مسمياتها من البدائيّة المحليّة إلى الساموية كاليهوديّة والمسيحيّة والإسلام ، والوضعيّة البشريّة كالمجوسيّة والبوذيّة والزرادشتيّة فكلها تتفق في إنصافها بصفة "دين" **Religion** الذي يفترض وجود علاقة بين طرفين أحدهما يعظّم الآخر ، ويربط الطرفين قواعد ومبادئ تنظم هذه العلاقة [2] .

ونجد قبل كل هذا المفهوم الذي يوّحد جميع المفاهيم والديانات ويدرس عمقها الباطني ألا وهو السّرانية .

1- تاريخ السّرانية :

بلا أرقام يعود تاريخ السّرانية إلى السماء !! .

إذ انتهت تقصداتها الباطنية ومنقولها الروحي إلى رمزيّة تراتبية صورية شكلانيّة تقصد ظاهرة الملك ...فلا تاريخ محدداً لميلاد السّرانية إذ أنّها لا تتخلف من عند ميلاد الإنسان الأول بدأ المسار الأولي بلا وسيط **(وَعَلَّمَ آَدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا)**[البقرة 31.] ، وكان حينها وحي الأنبياء يردد مع إخوانه **(سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا)** [البقرة 32] [3] .

وعند منسوبي العقلانيّة يحتمل مبدؤها هناك عند كهنة الفراعنة أو خدام آلهة اليونان ، أو من لدن رباني الفينيق ، أو نشأت في بناية هيكل سليمان ، فتاريخها قديم كتاريخ قدم الإنسان [4] .

---

[1] د. عبد السلام حمود غالب " 2013/08/26" ، الأخلاق أهميتها وفوائدها ، **www.alukah .net** ، أطلع عليه بتاريخ : 2020/08/5 ، " بتصرف " .

[2] محمد عبد الله دراز، المرجع السابق ، ص 24، 25.

[3] ميرغني أبشر ، السرانية ، مقال في عقيدة الباطن ، كاف نون للنشر ، القاهرة ، 2007، طبعة أولى ، 2007م ، ص 28.

[4] المصدر نفسه .

2- ماهية السّرانية :

السّرانية تطرح سفينتها وفق مفهوم يمكن سطره على هذا النحو :

"الكون هو كتاب الحقيقة المنشور ، والدين هو كتاب الحقيقة المسطور ، والإنسان هو كتاب الحقيقة المكنون " [1] .

أو وفقاً للمقبوض من عند القديس إسحاق السوري في " الفيلوكاليا " :

" إجتهد أن تنفذ إلى القفص الداخلي ، وسوف ترى القفص الخارجي " الكون " ، فما الأول والثاني إلاّ واحد فقط " المضمون المبسوط في عبارة ابن عربي :" الوجود كلمات الله ، والعارف ، أو الإنسان الكامل هو كلمة الله الجامعة " العبارة التي ولد من رحمها السحر والعرافة والعماد والطب ، وعلم الحروف ، والرقم والتوسم والموسيقى والكيمياء ، وجل العلوم الدائرة التي كانت حينها من المعارف الباطنة " [2].

إنّ المسارة حالة لا تنال دقائق مسرورها بالعبارة ، فهي قابلية واستعداد مأزول للعروج في مدارج التلقين ، عبر سلسة ذات خصيصة تديرها بشفرة بايلوجية ناعمة تعمل عند كل الورثة ، لكن تنفعل بما فيها من طاقة بكلانية بارقة عند واحد فقط من مجموع الورثة هو المختار [3].

- تنشطر الجماعات السّرانية لثلاث حالات وهي :

1- سرانية ينتظم فيها حملة السر وحماته ناظم واحد يغدو فيه حملة السر حماته في آن واحد ، وهي أجّل الجماعات شأناً وأكملها معرفة .

2- سرانيّة فيها الحملة غير حماة يصدقها حين تدخل عوالم غير بشرية القسم (سلسلة الأنبياء ، الحملة ، سلسلة الملائمة الحماة) .

---

[1] ميرغني أبشر ، السرانية ، مقال في عقيدة الباطن ، ص 35.

[2] المصدر نفسه ، ص 35، 36.

[3] المصدر نفسه ، ص 45.

3- سرانيّة الحماة ، وهي المنظومة الأوسع انتشاراً مثّلتها عبر التاريخ مدراس سرانيّة في بابل ومصر القديمة واليونان (...) ، وبسطت هيمنتها على ظاهر المعرفة وبعض باطنها من فنون الطب و الرياضيات ، والموسيقى ، والفلسفة [1] .

إذ إنّ مدارس الأسرار تتعدد بتعدد المراكز الروحيّة واختلاف الاعتقاد ، فالسرانيّة هي قصة الخلق والخليقة [2] ، قصة الوجود وحقيقة الغيب الكبرى (الله) ، وتنظر لجميع أسرار الخلق والكون من البعث والنشور ، والمعاد والجنة والنار ، وإبليس وحياة البرزخ والموت ، كلها رموزاً دالة لحقائق أخرى غير معروفة لعامة الناس لا تنال دقائقها إلاّ عن طريق الكشف والذوق والمرشد والتّبصر في أسرار الخلق ، فهي تحقق وحدة الأديان السماويّة وجميع الفلسفات والعلوم وبالتالي وحدة الوجود ، أو الإتّحاد مع الحقيقة الغيب (الله) وتحقق وجوده ولا يماثل شيئًا من خلقه [3] .

ولعلّ من أبرز جماعات الأسرار وأعرفها عند الناس هي جماعات الصوفيّة أهل التّصوف [4] .

3- التّصوف : قبل التحدث عن التّصوف من حيث النشأة والتاريخ ، نتكلم عن أصل اشتقاقه فقد نقل من الطوسي أبو نصر السرّاج [5] **،** في كتابه عن الصوفي ، قال :" كان في الأصل صوفي ، فاستثقل ذلك ، فقيل صوفي ، ونقل عن الحسن الكناد هو مأخوذ من الصفاء " [6] .

وقال قوم :" إنّما سمو صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة ، الذين كانوا على عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وقال قوم : إنّما سمو صوفيّة للبسهم الصوف ، وقد نقل عن أحمد بن زروق أنّه وقد كثرت القوال في اشتقاق التّصوف ، وأمسى ذلك بالحقيقة خمسة :

الأول : قول من قالوا من الصوفة ، لأنّه مع الله كالصوفة المطروحة .

الثاني : أنّه من صوفة القفا للينها ، فالصوفي ليّن هيّن .

الثالث : أنّه من الصفة إذ جعلته اتّصاف بالمحاسن ، وترك الأوصاف المذمومة .

الرابع : أنّه من الصفا .

---

[1] ميرغني أبشر ، السرانية ، مقال في عقيدة الباطن ، ص 56، 57.

[2] ميرغني أبشر ، السرانية ، ص 147.

[3] المصدر نفسه ، ص 174، 148.

[4] المصدر نفسه ، ص 29.

[5] هو أبو نصر عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى السرّاج العلوسي " توفي 378هـ/ 988" ، لقب بطاووس الفقراء ، وتنقل بين بلاد كثيرة منها – القاهرة ، وبغداد ، له كتاب " اللّمع في التّصوف " ، وهو بمثابة موسوعة في تاريخ التصوف الاسلامي وطبقات الصوفية وعلومها ومصطلحاتهم وأقوالهم وأحوالهم .

[6] أبي نصر السرّاج طوسي ، " اللّمع " ، تحقيق : عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، دط ، ص 47.

الخامس : أنّه منقول من الصفة ، لأنّ صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف ، وقال أبو نعيم في اشتقاقه من حيث الحقائق التي أوجبت اللغة العربية ، فإنّه تفعل من أحد أربع حقائق ، من الصوفانة " بقلة وعناء قصيرة " ، أو من صوفة وهي قبيلة تخدم الكعبة ، أو من صوفة القفاء أو من الصوف [1].

هذا وقد اختلف الناس في ظهور التّصوف مثلما اختلفوا في أصل اشتقاقه ؛ حيث يرى ابن تيمية وابن خلدون ، وابن الجوزي أنّه لم يكن هذا اللّفظ مشهوراً في القرون الثلاثة الأولى ، وأمّا الطوسي فقال : لم نسمع بذكر الصوفيّة في القديم ، وهو اسم مستحدث ، أمّا المستشرقون الذين كتبوا عن التّصوف ، ومنهم ينكلسون فإنّه يرى أنّه قد أطلق على ابن هاشم الكوفي المتوفي سنة 150هـ .

أمّا المستشرق الفرنسي ما سينيون يرى غير ذلك ، وأنّه ظهر لفظ الصوفيّة في النصف الثاني من القرن الثامن ميلادي ، إذ نعت به جابر بن حيان ، وهو شيعي من الكوفة ، وكذا أبو هاشم الكوفي ، وبهذا كانت مقصورة في الكوفة [2].

والتّصوف حركة عرفها العالم منذ القدم وهو منهج للتصفية الخلقية والتربية الروحية ، وتزكيّة النّفس من الأهواء وتطهيرها من الأدران ، وفقاً لأصول شرعية ، وهو مرتبط بمعرفة حقيقة الإنسان ذاته [3]، والمصطلح على الحركة الصوفيّة من أول نشأتها إلى ظهورها العلني على ذلك النحو يجد أنّ أساطين الفكر الصوفي جميعهم في القرن الثالث والرابع الهجريين كانوا من الفرس و لم يكن فيهم عربي قط .

أي أنّ التّصوف بلغ غايته من حيث العقيدة والتشريع في نهاية القرن الثالث الهجري حيث استطاع الحسين بن منصور الحلاّج أن يظهر معتقده على الملأ ، ولذلك أفتى علماء عصره بكفره وقتله ، بالرغم من ذلك ظلّت الصوفيّة تواصل انتشارها في أراضي فارس على الخصوص ثم العراق [4].

ومما تقدم ذكره يتّضح مدى اتّساع مجال التّصوف وبالتالي صعوبة الوصول إلى تعريف شامل يمكن أن يطلق على التصوف كمضمون ، فالتصوف يتصرف إلى عديد من المعاني وإذا كانت جميعها لا تختلف في الغاية إلاّ أنّها تتنوع تنوعاً كبيراً ، ويرجع هذا التنوع من كون التجربة الصوفيّة تجربة شخصيّة ذاتيّة تتمثل في كونها لأناس مسلكهم فيها المجاهدة والرياضة الروحية لتحقيق الرقي الأخلاقي الذي به تسمو الروح من مقام لمقام حتى تصل إلى مقام التوحيد والمعرفة والمشاهدة – الذي يتم ذوقاً لا حسًا ولا عقلاً – وهذا هو هدف الصوفية ، فمن يسير في الطريق دون الوصول إلى هدف لم يكن صوفياً.

[1] إحسان إلهي ظهير، التصوف النشأة ومصادره ،ادارة ترجمان السنة ، لا هور ، باكستان ، دط ، ص 14، 15.

[2] المرجع نفسه ، ص 25، 26.

[3] البشير قلاتي ، منهج التربية الروحية عند الصوفية ، مذكرة موجهة لطلبة السنة 02 ماستر ، دعوة وثقافة اسلامية ، 2011، ص 12.

[4] ليلى بنت عبد الله ، الصوفية عقيدة وأهداف ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط01، رمضان ، 1410هـ ، ص 14.

وبهذا المعنى فالصوفي هو الذي صفا من الأخلاق المذمومة ، وتخلّق بالأخلاق المحمودة حتّى أحبه الله وحفظه في جميع حركاته وسكناته ، وفقه للقيام بأداء عبادته ، وأطلعه على بعض أسراره ، وخصّه بطوالع أنواره [1] .

وفي تعريف " الصوفي " توّصل ابن سينا إلى تعريف حاول فيه أن يفرّق بين الزهد والعابد والعارف ويقصد بالأخير الصوفي ، فقال :" إنّ الزاهد هو المعوّض عن متاع الدنيا وطيباتها ، والعابد هو المواضب على القيام بالعبادات من صلاة وصيام وقيام وغيرها ، أمّا العارف فهو ذلك الإنسان المنصرف بفكره إلى الله مستديماً لشروق نور الحق في سرّه " والنتيجة التي توصل إليها ابن سينا هي اجتماع الزهد والعبادة في التصوف ، وليس وجود التصوف في الزهد أو العبادة وحدهما ، فكل صوفي زاهد وعابد ، وليس كل زاهد أو عابد صوفي [2] ، فالتصوف اسم جامع لمعاني عديدة كالفقر والزهد والنسك والعبادة وغيرها من المعاني التي تندرج تحت التصوف كمفهوم .

أمّا " التصوف كعلم " يختلف عن بقية العلوم لأنّه ليس له نهاية ، لأنّ المقصود ليس له غاية فهو إشارات وخواطر وعطايا وهبات يعرفها أهلها من بحر العطاء ، وهو علم المفتوح يفتح الله تعالى به على قلوب أوليائه في فهم كلامه ما شاء ، كيف شاء ، وكرم الله وعطاؤه ليس له نهاية [3] .

ومما سبق يتّضح مدى صعوبة الوصول لمفهوم يلقي الضوء على التصوف ويفيه حقه من كافة الجوانب لذلك آثرنا أن نتعرض لأهم الخصائص التي نرى أنّها تمكن أو تساعد في التوّصل لتعريف التصوف ، وقد اتّفق كل من توفيق الطويل والتفتازاني ، ومقداد بالجن ، وسامية الخشاب على أنّ " التصوف بوجه فلسفة حياة وطريقة معينة في السلوك يتّخذها الإنسان لتحقيق كماله الأخلاقي ، وعرفانه بالحقيقة وسعادته الروحيّة .

تضاربت أراء العلماء والمؤرخين في تحديد بداية ظاهرة التصوف فالقليل منهم أرجعه إلى عصور ما قبل الإسلام ، ومن هؤلاء نذكر : أبا نصر السرّاج في كتابه " اللّمع " في حين نجد الأغلبية وإن اختلفت تحدده بين القرن الثاني والثالث للهجرة (9-8 م) ومن هؤلاء نجد شيخ الإسلام " ابن تيمية " الذي حدد نشأة التصوف بأوائل القرن الثاني للهجرة في " مجموع فتاوى " إلى أنّ التصوف لم يشتهر إلاّ بعد القرن الثالث للهجرة ، وأنّ أول ما ظهر كان في البصرة ، وفي هذا الصدد يرى " ابن الجوزي " أنّ نشأة التصوف كانت قبل مائتين ؛ حيث جاء في كتابه " تلبيس إبليس " ، قوله :" كانت النسبة في زمن النبي صلى الله عليه وسلّم إلى الإيمان والإسلام ، فيقال : مسلم ، مؤمن ، ثم حدث اسم زاهد وعابد ، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتّعبّد ، فتخلوا عن الدنيا ، وانقطعوا إلى العبادة ، واتّخذوا في ذلك طريقة تفرّدوا بها وأخلاق تخّلقوا بها ، ثم — قال- وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين "[4].

---

[1] عبد الكريم القشيري ، الرسالة القشيرية في علم التصوف ، تحقيق : معروف خريف ، وعلي أبو الخير ، دار الجيل للطباعة والنشر ، دمشق ، 1995م ، ص 20.

[2] محمد كمال جعفر ، التصوف طريق وتجربة ومذهباً ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1980، ص 6.

[3] أبي نصر السراج الطلوسي ، المصدر السابق ، ص 37.

[4] إحسان ظهير ، التصوف الإسلامي ، المنشأ والمصادر ، ط01، إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، 1986م ، ص 45.

أمّا عن الأسباب التي ساهمت في ظهور التصوف وتطوره فقد اختلف فيه المؤرخون من العرب المسلمين والمستشرقين فمنهم من رأى أنّ نشأة التصوف ومصدره يرجع إلى عناصر دخيلة على الإسلام منها الأصل الهندي والفارسي واليوناني والمسيحي .

أمّا التصوف كفكرة نشأة مع الإنسان ؛ حيث ومنذ البدء نجده يتطلع إلى معرفة الغيب ، وإلى استشراف عالم ما وراء الطبيعة ، وإلى الرغبة في الاتّصال بهذا العالم عن طريق الوسيلة الصحيحة لهذا الاتّصال [1].

بينما يرى كثير من مؤرخي التصوف ، ولاسيما المستشرقين منهم أنّ التصوف تأثر في نشأته بمؤثرات وعناصر الشفافية الشرقية والغربية منها ، الهندية والفارسية ، واليونانية ، والمسيحية ، لأنّ بعض النظريات التي تبناها رجال التصوف تعد دخيلة على مبادئ الإسلام وعقيدته ، ويعتبرون هذه المؤثرات السبب الفعّال في ظهوره ، فمنهم من قال إنّ سيرة " بوذا " انتقلت إلى المسلمين عن طريق مرو ؛ حيث كان النفوذ البوذي قويًا [2] ، ومنهم من قال بالتأثير الهندي ، أو التأثير الهندي الفارسي ، وهناك من جعل التأثير " الإيراني الهليني " كبيراً في تكوين التصوف الإسلامي وتطويره وتنظيم علومه.

ومنهم من ذهب إلى أنّ الصوفية استقوا أفكارهم وتعاليمهم من الأفلاطونية الحديثة في الإسكندرية ،أو على الأقل لها صلات بها وتشابه بينهما [3] ، ومنهم من أرجعها إلى مظاهر الرهبنة المسيحية [4].

إنّ قضية التأثير والتّأثر ليست عيباً ، ومن التطور الطبيعي أن يكون هناك أخذ وعطاء .

ولقد مرّ التصوف بمراحل مختلفة ، وهي :

المرحلة الأولى : تبدأ من القرن 2 هـ ، وقد كان زهداً وسبب نشأته هو ابتعاد الناس عن الدين الإسلامي ، ويرى ابن خلدون (ت 732هـ /808م) أنّ سبب نشأة التصوف ابتعاد الناس عن الدين ، إذ يقول في مقدمته :" لمّا فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده جنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص القبول على العبادة باسم الصوفية المتصوّفة " .

المرحلة الثانية : ق3 هـ ، و هو العصر الذهبي للتصوف ، وله أعلام كغيره مثل الجنيد ، والمحاسبي ، والثوري ، انتشرت مذاهبهم ، وقد غلب على التصوف الجانب الخلقي التربوي ، وفي هذا العصر إزدهر منهجهم كمنهج تروبي متكامل .

---

[1] عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسي في الإسلام ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989م ، ص 142.

[2] جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة وتحقيق : محمد يوسف موسى ، المركز القومي للترجمة ، دط ، ص 143.

[3] أرنست رينان ، ابن الرشد والرشدية، ترجمة : عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1957م ، ص 10.

[4] جولد تسيهر ، المرجع السابق ، ص 136.

المرحلة الثالثة : وفيها تم ضبط قواعد التصوف ، ومن أشهرهم الإمام أبو حامد الغزالي والإمام القشيري .

المرحلة الرابعة : بين القرن 6 ، والقرن 7 الهجريين ، وهنا ظهرت الطرق الصوفية العديدة كالقادرية والرفاعية ، وهي طرق للتربية إذ يمارس المريدون فيها عباداتهم للتطهير والتزكيّة في زوايا خاصة ، وتسمى أيضًا " تكايا " ، لكن ظهرت في هذه الفترة موجة التصوف الفلسفي العرفاني .

المرحلة الخامسة : وتبدأ من القرن 10 هـ ، وهنا ضاع التصوف الخلقي التربوي ، وأبرزهم السهرودي ، وأبرز ما فيها طغيان السلبية الطقوسيّة على كثير من الطرق الصوفيّة ، فكان التباهي بالعبادة والتزلف للحكام ، وأخذ العطايا منهم والوقوع في المعاصي ، وبعض الكبائر ولاستعراض الكرامات [1] .

4- وسائل التصوف :

رحلة السفر الروحي عند الصوفيين عامة لا تكتمل إلاّ بعدّة وسائل ، وهي المقامات ، والأحوال ، والمجاهدات الصوفية ، والشيخ المرشد ندرجها بشكل موجز .

أ- المقامات والأحوال : تعتبر المقامات والأحوال هي الدرجات والرتب التي يرتقي فيها السالك بعد أن يكون قد سار شوطاً طويلاً في مجاهدة نفسه ورياضتها ، وتحلى بكل من الآداب العامة والخاصة ، وتخلص من كل شوائب الرذائل ، أو مواضعها ، وتحلى بكثير من الفضائل وتمرس بها ، وحقق مزيداً من الانسجام بين قواه وملكاته ، وأصبح قريبًا في حالاته النفسيّة مما نسميه " الطمأنينة" أو السوية ؛ أي التخلص من التناقضات والصراعات الداخلية ، وأصبح صفاء كله أو يكاد ، وسيطرت على وجدانه ومزاجه النفسي حالات الطمأنينة والسكينة ، عندئذ يصبح أهلاً لتوارد الأحوال الإلهية عليه ، ويأخذ في الشرفي من مقام إلى آخر وفق لما يرسخ فيه ، ويثبت من أحوال نتيجة مجاهدته ورياضته المختلفة ، ولا يترقى من مقام إلى آخر حتى يستوفي المقام الذي هو فيه حقه وآدابه ، فهذه المقامات هي مظاهر ما يتحقق به السالك من استقرار نفسي حال سلوكه [2] .

لذلك يرى الصوفية أنّ السالك لا يمكن أن يتحقق من مقام من مقامات إلاّ إذا كان مشتغلاً بالرياضة له والمجاهدة من أجل تحقيق شروطه الخاصة ، فلكل مقام شروط وأركان لا بد من الوفاء بها ليفوز به الصوفي ، ولذلك فالمقام كسبي ؛ أي درجة من السلوك لا يمكن اكتسابها بالجهد والعمل والرياضة الروحية ، ومن هنا يقول القشيري :" المقام ما يتحقق به العبد بمنازلته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع التصرف ، أمّا " الأحوال " فهي ما يرد على قلب السالك دون كسب منه ، وفيها يقول القشيري أيضًا :" معنى يرد على القلب من غير تعمد منهم ولا اجتلاب ، ولا اكتساب لهم من طرب أو حزن ، أو بسط ، أو قبض ، أو شوق ، وانزعاج أو هيبة " .

[1] البشير قلاتي ، منهج التربية الروحية عند الصوفية ، مرجع سابق ، ص 13، 14.

[2] بركات محمد رضا ، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي ، دار النشر الالكتروني ، دط ، ص 55، 56.

ويحلل السرّاج الطلوسي الأحوال ، فيقول :" معنى الأحوال " ، ما يحل بالقلوب أو تحلى به القلوب وكذلك من صفاء الأذكار ، وليس الحال عن طريق المجاهدات والعبادات والرياضات ، كالمقامات " [1]

يفرّق الغزالي بين المقام والحال من ناحية أخرى ، فيقول :" يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام ، وإنّما يسمى حالاً إذا كان عارضًا سريع الزوال ، وهكذا كصفات القلب تنقسم هذه الأقسام ، فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً ، لأنّه يحول على القرب ، وهذا جاء في كل وصف من أوصاف القلب "[2].

ويتفق القشيري مع الغزالي في ذلك ، فيقول في هذا المعنى :" فالأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب والأحوال تأتي من غير الوجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود ، وصاحب المقام ممكن في مقامه وصاحب الحال مترق عن حاله " .

ب- المجاهدات الصوفية : المجاهدات " أو الرياضات الروحية " هي سلوك الصوف الذي يهدف إلى تطهير النفس وتخليصها من كدورات البدن و أدرانه ، لكن تتبدل صفاتها ، وتصبح أكثر استعداداً للاتّصال بعالمها الروحي الذي تنتمي إليه ، والذي منه انبعثت وإليه تعود ، والمجاهدة شرط أساسي من شروط السلوك في طريق التصوف ، ولا يحصل للسالك شيء من نعمة الطريق إلاّ بالمجاهدة ، والقرآن الكريم صريح العبارة في الموضوع ، قال الله تعالى :(**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**)[العنكبوت 69] .

والمجاهدة إمّا تكون ظاهرة بالجوارح ، كالصوم ، والصمت ، والخلوة ، والعزلة ، إمّا تكون باطنة بالقلب لرياضة النفس وتطهيرها من صفاتها الشريرة ، ويرى " ابن خلدون " أنّ مجاهدات الصوفي في سلوكه لطريق الحق على ثلاث أنواع متفاوتة ، بعضها متقدم على بعض ، وهي : مجاهدة التقوى ، ومجاهدى الاستقامة ، ومجاهدة الكشف والإطلاع .

أمّا مجاهدة التقوى : فهي وقوف المرير عند حدود الله ، لأنّ الباعث على هذه المجاهدة " طلب النجاة فقط ، فكأنّها اتّقاء وتحرز بوقوف المريد عند حدود الله خوفاً من عقوبته ، وتحصل هذه النجاة فقط عندما يتخلى المريد عن المخالفات ، ويتوب عنها ، أمّا في الباطن فتقوم على مراقبة أفعال القلب التي هي مصدر الأفعال [3] .

وأمّا مجاهدة الاستقامة فهي عبارة عن تقويم النفس حتى تتهذب ، فتحسن خلقها وتصدر عنها أفعال الخير بسهولة ، وتصير لها آداب القرآن والنبوّة بالرياضة والتهذيب ، خلقاً كأنّ النّفس طبعت عليه ، والباعث على هذه المجاهدة طلب الفوز بدرجات العلى .

---

[1] أبي نصر السراج الطلوسي ، المرجع السابق ، ص 66.

[2] أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار ابن حزم ، ط01، 2005م ، ج04، ص 139.

[3] ابن خلدون ، شفاء السائل وتهذيب المسائل ، تحقيق : الدكتور مطيع الحافظ ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط01، 1996م ، ص 33.

وأمّا مجاهدة الكشف والإطلاّع : فهي عبارة عن إخماد القوى البشرية ، ونزع الصفات الدنيئة المذمومة ، ثم محاذاة سطر الحق بالطريقة الربانيّة لينكشف الحجاب وتظهر أسرار العوالم ، والعلوم واضحة للعيان ، وهن العلم الإلهي الذي يحصل بالتصفيّة [1].

ج- الشيخ المرشد :

أجمع أهل الطرق على وجوب اتّخاذ المريد شيخاً له يرشده إلى زوال الصفات الذميمة التي تمنعه من دخول حضرة الله تعالى بقلبه لتصّح صلاته من باب لا يتم الواجب إلاّ به ، فهو واجب ، يقول الطلوسي :" المريد ينبغي أن يكون له مؤدّب يوقفه على ما يحتاج إليه حتى لا يتولّد من إرادته بلاء وفتنة لا يقدر أن يتلافاها " ، ويقول القشيري : " ....ثم يجب على المريد أن يتأدب بشيخ ، فإن لم يكن له أستاذ لا يفلح أبداً " .

والشيخ في اصطلاح الصوفية " هو الإنسان الكامل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة البالغ إلى حد التكميل فيها لعلمه بآفات النفوس وأدوائها ، ومعرفته بدوائها وقدرته على شفائها والقيام بهداها إن استعدت ووفقت لهداها " ، وعرّفه " التهانوي " ، فقال :" الشيخ هو الذي سلك طريق الحق ، وعرف المخاوف والمهالك فيرشد المريد ويشير إليه بما ينفعه وما يضره " .

وقد استدل الصوفية على وجوب الشيخ في سلوك الطريق بالكتاب والسنة والحجج العقلانية من الكتاب ، قول الله عزّ وجلّ : **(أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُل)**[سورة الأنعام 90] ،وقوله تعالى : **(وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ)**[سورة لقمان 15] ، ويقول السهرودي : " إنّ هذا الذي ذكره الرسول هو رتبة المشيخة والدعوة إلى الله " .

ودور الشيخ في الطريقة أو التصوف هو أن يأخذ بيد مريده ، ويرشده إلى الطريق ويعلمه التوبة والزهد ويشير إليه بما ينفعه وما يضره ويلقنه الأوراد والأذكار ويأخذ عليه البيعة أو العهد كما سمى عندهم .

فإذا التزم المريد بنصائح الشيخ وإرشاداته وصل إلى مبتغاه ، وصار بدوره شيخاً مرشداً وموجهاً لغيره من المريدين والسالكين .

وقد وضع الصوفيّة للشيخ شروط من بينها : أن يكون قد سلك طريق الحق ، أن يكون قد عرف المخاوف والمهالك ومنعرجات الطريق ، كامل مكمل في علوم الشريعة والطريقة والحقيقة ، أن يكون مستقيم الحال ، ومن آداب الشيخ أن يكلّم الناس على قدر عقولهم ، أن يأمر كل شخص بما يصلح له ، حسن الخلق مع المريدين والرفق بهم ، التنزه

[1] المصدر نفسه ، ص 35.

عن أموال المريدين ، وحفظ أسرارهم ، يقول الأمير عبد القادر في " المواقف " :" إنّما وجب على المريد طلب الأكمل من المشايخ خشية أن يلغي قيادته بيد جاهل بالطريق الموصل إلى المقصود ، فيكون ذلك عوناً على هلاكه"[1].

– **المريد :** إذا كان الشيخ يمثل حجر الزاوية في الطريق الصوفي ، فإنّه بدون وجود مريدين هذه الطريق ما قامت ، وما كانت هناك طرق صوفيّة ، وقد امتلأت كتب التصوف بالحديث عن آداب المريدين وشروطهم ، ووضعوا لذلك قواعد كثيرة وأسسا يجب أن يلتزم بها سالك الطريق ، أو المريد هو سالك الطريق الذي يسير في الطريقة حسب إرشادات شيخه في سلك طريقه كما يرسمه له الشيخ حتى يصل إلى غايته ، وخطوات المريد هي التوبة ، العهد ، التلقين ، لقوله تعالى : **(وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)**[سورة النور 31] .

وقد فرض شيوخ الصوفية على " المريد " آداباً يجب عليه التقيّد بها منها :

طاعة الشيخ طاعة عمياء ، توقير الشيخ واحترامه ظاهراً وباطناً ، ألا يلتفت إلى شيخ آخر ، الاعتقاد التام في شيخه ، يقول الشيخ عبد القادر الجيلاني : " من لم يعتقد في شيخه الكمال لا يفلح أبداً ".

المبحث الثاني : الطرق الصوفية وأهمها

مفهوم الطريقة :

1– لغة : الطريقة : الطريق والسيرة والمذهب ، والطريقة جمعها طرائق [2] .

والطريقة الحال ، يقال : هو على طريقة حسنة ، وطريقة سيئة ، والطريقة الرجال الأشراف ، وطريقة القوم أمثالهم و خيارهم .

والطريقة : النسيجة من صوف أو شعر تكون في البيت .

الطريقة : واحدة الطريق ، وهي النخل الطوال [3].

أمّا التركيب طريقة صوفيّة فلم يذكر في المعاجم اللغوية القديمة ، وإنّما عرفت الطريقة في بعض المعاجم الحديثة بأنّها المسلك الطائفة المتصوفة [4] .

---

[1] الأمير عبد القادر الجزائري الحسني ، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، تحقيق : عاصم ابراهيم الكيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004، ص 20.

[2] جبران مسعود الرائد ، معجم لغوي عصري ، دار العلم للملايين ، ط7، 1992م ، ص 189.

[3] نشوان بن سعيد الحميري اليمني ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من العلوم ، دار الفكر المعاصر " بيروت – لبنان " دار الفكر دمشق ، سوريا ، ط01، 1999م ، ج07، ص 212.

[4] أنيسة زغدود ، جهود جمعية العلماء المسلمين في مقاومة الانحرافات الطرقية " 1931-1956م " ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين ، قسم العقيدة ومقارنة الأديان ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة ، الجزائر ، 1999، ص 03.

2- اصطلاحا : الطريق الصوفي ، هو السبيل الذي يسلكه المريد وصولاً إلى المراد ، وهو ما كان معروفاً لدى المتصوفة إبان التصوف في مراحله الأولى ، أو ما يعرف بالتصوف الفردي .

أو هي السيرة المختصة بالصوفية السالكين إلى الله تعالى ، فهي السفر إلى الله تعالى ، والسالك إلى الله تعالى ، والمريد هو المسافر ، فعلى المسافر إلى الله أن يسلك طريق القوم وأن يجتازها مرحلة بعد مرحلة ، أمّا من أدركته عناية الله فجذبته العناية إلى الله جذباً فهذا ما يسموه وغاية الطريق هي : " الترقي الخلقي بمجاهدة النفس وإحلال الأخلاق المحمود محل الأخلاق المذمومة " [1] ، وهو ما يؤكده قول أبي حامد الغزالي :" الطريق تقديم المجاهدة ، ومحو الصفات المذمومة ، وقطع العلائق كلها والإقبال بهمة على الله تعالى ، ومهما حصل ذلك ، فالله هو المتولي لقلب عبده والمتكفل له بتنويره بأنوار العلم " [2] .

2- مراحل الطريق الصوفي :

يقوم الطريق على الانتقال الروحي وفقاً لشعائر تعبدية من درجات إلى أخرى على التوالي ، ليصل المتصوّف إلى الكمال الروحي ، على أنّ هناك من المتصوفة من جعلها أقل ويمكن تلخيصها في درجتين :

الدرجة الأولى : تتمثل في الذكر ؛ حيث تنتهي جماعة الإخوان .

الدرجة الثانية : يحصل فيها الجذب الذي يمر بعدّة مراحل هي :

- الجذب للمحب ، وهو الوله [3] الولهان .

- جذب القلب ، وجذب الروح غير المادية .

- جذب السر [4].

- جذب الامتلاك ، هذه المواقف كثيرا ما تجمع في الحال أو " الحق " ، أو " المقام " .

والمريد وهو يمر بهذه الدرجات ، ترتقي نفسه باعتبار صفاتها وتمر بسبع مراحل لتصل إلى مرحلة الكمال [5] وهي :

- النفس الأمارة بالسوء والشهوات .

- النفس اللّوامة ، إذا أذعنت لإتباع الحق .

---

[1] فريد دي بونج ، تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، ترجمة : عبد الحميد فهمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، دط، 1995م ، ص 07.

[2] أنظر : محي الدين ابن العربي ، رسائل ابن العربي ، إصطلاح الصوفية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت ، ص 8.

[3] أنظر : ابن عربي ، إصطلاح الصوفية ، ص 8.

[4] أنظر : ابن عربي ، المرجع نفسه ، ص 15.

[5] أنظر : ابن عربي ، المرجع نفسه ، ص 07.

- النفس الملهمة .

- النفس الخاضعة والروح المطمئنة .

- النفس الراضية إذا فنيت جميع مراداتها .

- النفس المرضية عند الحق والخلق .

- النفس النقيّة المقدّسة والكاملة ، ترشد العباد وتكلمهم إذا أُمرَتْ [1].

3- نشأة وتطور الطرق الصوفية :

ظهر مصطلح الطريقة لاحقاً إبّان التصوف الجماعي المنظم ، وأصبح يطلق على جماعات المعاشرة الإخوانيّة التي تعرف باسم " الطرق الصوفيّة " ، وتدعى الواحدة منها باسم الطريقة [2]، وقد حددها العارفون بالله من المشايخ المجتهدين في علم التصوف بهداية من ربهم سبحانه وتعالى :**(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)**[سورة البقرة 282] ، و :"**(وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ)**[سورة العنكبوت 69].

ويرى " كارادي فو " أنّ الطرق الصوفيّة هي التعبير المنظم عن التصوف الإسلامي بعد أن ظلّ قرونا يقوم على الأفراد ؛ أي بعد أن كان التصوف سلوكاً فردياً انتقل ليكون مسلكاً جماعياً يمتلك طبيعة الهيئات العامة .

يمثل القرن السدس الهجري (الثاني عشر ميلادي) البداية الفعلية للطرق الصوفية ؛ حيث ظهرت الطريقة القادرية المنسوبة لعبد القادر الجيلاني (ت561هـ) وظهرت " الطرق المدينية " نسبة لأبي مديّن الغوث (ت 594هـ) ، كما ظهرت " الطريقة الرفاعية " المنسوية للشيخ " أحمد بن علي الرفاعي (ت 540هـ) ، وفي القرن السابع الهجري عدم انتشار الطرق الصوفية مختلف أرجاء العالم الإسلامي [3] ، ولعلّ الإختلاف الجوهري يكمن في تلك الأوراد والأحزاب التي يرددها الأتباع ، يقول أحد الباحثين :" إنّها بتلك أشبه بمدراس تتحدد غايتها في التعليم ، وتختلف وسائلها بإختلاف المعلم الذي يجتهد في أن يضع لتلاميذه قواعد يلتزمون بها في حياتهم الدينيّة والدنيويّة " .

4- أهم الطرق الصوفيّة :

1- الطريقة القادرية : هي طريقة تنسب لمؤسسها عبد القادر بن موسى بن عبد الله الحسني أبو محمد محي الدين الجيلاني أو الكيلاني ، نسبة إلى بلدة جيلان في بلاد فاس مسقط رأسه ، ولد سنة 470هـ -1078م ، يعتبر من كبار الزهاد والمتصوفين ، وبرع في أساليب الوعظ والتفقه في علوم الدين .

[1] التهانوي ، الكشاف ، ج02، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ط02، القاهرة ، 1992م ، ص 271، 276.

[2] عامر النجاو ، الطرق الصوفية في مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، دت ، ص 60.

[3] قمر الكيلاني ، التصوف الإسلامي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1984م ، ص 45.

- أسس الطريقة القادرية في القرن السادس ه / الثاني عشر ميلادي [1]:

تعد أقدم الطرق ظهوراً وأولها تأسيسًا على مستوى العالم الإسلامي ، وأقدمها وجوداً في الجزائر ؛ حيث وجدت أرضًا خصبًا استطاعت أن تنمو فيها ، وتزدهر أثناء العهد العثماني .

- انتشرت الطريقة القادرية في جهات عديدة من العالم الإسلامي انتشاراً واسعاً ، وكان لها نشاط كبير في نشر الاسلام تتّسم تعاليمها بالإصلاح والإرشاد والتسامح ونشر المعرفة والعلم .

- وصلت إلى الجزائر خلال القرن 15 م ، وقد تولى نشر مبادئها في الجزائر أقطاب الصوفية الشيخ سيدي شعيب بومدين في مدينة بجاية خلال زيارته للمشرق الإسلامي ، فأخذ من أعلامها واستفاد من زهادها وأولياؤها ، وهناك تعرف في رحلته على الشيخ عبد القادر الجيلاني ، فأخذ عليه كثيراً من علوم الحديث .

وقد انتشرت مبادئ الطريقة إلى حد كبير بين الجزائريين ، وكانت لها أربعة فروع في الجزائر ، وهي منتشرة على مستوى القطر الجزائري ولها 33 زاويّة [2] .

والذكر عند القادرية هو ذكر الله وحده ، وقد ذكر محمد بن علي السنوسي مؤسس الطريقة السنوسية أنّ أهل الطريقة القادرية أثناء الحضرة يقرؤون الفاتحة بعد الصلوات الخمسة ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم 121مرة في شكل جماعي ويذكرون عبارة " سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلاّ الله ، والله أكبر " 121 مرة ويقرؤون سورة ياسين ، وحسب ما ذكره " لوسين رين" فإنّ دعاة القادرية يفسرون طريقتهم بأنّها العلم ، والأخلاق ، والعبر ، والإتقان ، وغايتها هي ذكر الله والصدق والابتعاد عن شؤون الدنيا .

- من أورادها : حزب الوسيلة ، وورد الجلالة [3] .

هن تعاليم النّبي نادت بها الطريقة القادرية التسامح ؛ حيث كان الشيخ عبد القادر الجيلاني دائماً يقول : " إتبعوا ولا تبتدعوا ، وأطيعوا ، ولا تخالفوا وأصبحوا ولا تيأسوا ، واجتمعوا على الذكر ولا تنفروا ، وتطهروا من الذنوب ، ولا تناطحوا وعن باب مولاكم فلا تبرحوا .

توفي الشيخ ببغداد (ودفن هناك عام 561هـ- 116م) ، وضريحه موجود ببغداد ، وهو مزار للكثير من المريدين من كل أنحاء العالم ، ومن مؤلفاته نذكر :

- الغنيمة لطالب الحق ، فتوح الغيب ، الفيوضات الربانية .

---

[1] أنظر : عمار هلال ، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية ،وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007م ، ط01، 108.

[2] أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج04، " 1830-1954" ، ط01، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ص 42.

[3] سعيد مراد ، الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً وحديثًا ، عين للدراسات والبحوث الانسانية والإجتماعية ، مصر 1997، ص 533، 534.

- جلاء المخاطر في الظاهر والباطن .

- الفتح الرباني والفيض الرحماني .

- آداب السلوك والتوّصل إلى منزل السلوك ، وغيرها من المصنفات العديدة .

2- الطريقة الرحمانيّة :

هي طريقة صوفية تأسست خلال القرن 19 تفرعت عن الطريقة الخلوتية وتنسب إلى الشيخ عبد الرحمن القشتولي الجرجي الأزهري المولود حوالي 1109هـ /1403م في قرية بوعلاوة والملقب بـ" بوقبرين " سافر لكثير من البلدان لينهل من علومها ، ليعود ويستقل بمسقط رأسه آيت اسماعيل ويؤسس أول زاوية ، وشرع في الوعظ والإرشاد ، وقد إلتف حوله الكثير من الناس من سكان جرجرة ، ولقيت دعوته قبولاً ونجاحاً كبيرين ، وسرعان ما أصبح له أتباعاً ومريدين ، بعدها انتقل إلى الجزائر العاصمة وبالضبط بمنطقة الحامّة العداء بسبب التصديق عليه ، وأسس بها زاوية لنشر تعاليم الطريقة الخلوتيّة ، وقد عرفت الطريقة نجاحاً كبيراً وبهذا فضل جهود الشيخ ، وبلغت عدد زواياها 144 زاوية داخل الوطن وخارجه [1].

أمّا الأستاذ على مسعود فيرجع هذا النجاح للطريقة الرحمانيّة داخل وخارج الوطن خاصة في إقليم السودان إلى أنّها امتازت بالخاصية الشعبيّة وعمّقت علاقتها مع الطبقات العديدة في المجتمع الجزائري وخارجه وذاك ما أكسبها الأنصار والمريدين خارج الجزائر [2] .

أمّا ورد الطريقة الرحمانية هو : لا إله إلاّ الله هو حق حي قيوم قهّار " اللّهم صلي وسلم على سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه وسلّم " بعدد 80 مرة ، بشرط أن يكون على طهارة كما أخذت الطريقة الرحمانيّة سبعة من أسماء الله الحسنى التسعة وتسعين وهي : الله هو الحق والحي والقيوم والعلاّم والقهّار [3].

توفي الشيخ عبد الرحمان عام 1208هـ - 1794م ، بمسقط رأسه آيت اسماعيل تاركاً خلافة الطريقة لرجل مغربي [4] .

3- الطريقة الشاذليّة :

ويعود تأسيس هذه الطريقة إلى النصف الأول من القرن 13 م ، إذ تعتبر أهّم الطرق بالمغرب العربي ؛ حيث اتّخذت من منطقة " بوريث " بمراكش مركزاً لها ، لتنتقل بعد ذلك إلى الجزائر بفضل مرونة تعاليمها واعتدال نهجها ، تنسب

[1] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج02، ص 294.

[2] عبد الله زروقي ، نقلاً عن العيد مسعود ، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة سيرتا ، عدد 03، ماي 1980م ، ص 19.

[3] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج02، ص 294.

[4] نسيب محمد ، زوايا العلم والقرآن ، دار الفكر ، الجزائر ، 1981م ، ص 154.

لأبي الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبّار الشاذلي ، المولود عام 539هـ ، استقر بقرية " شاذلة " التي نسب إليها ، وهي من قرى تونس ، وافاه الأجل سنة 656هـ وهو في طريقه إلى البقاع المقدّسة لأداء مناسك الحّج ، من مؤلفاته الحزب المشهور ، حزب الشاذلي ، رسالة الأمين في آداب التصوف ، السر الجليل في خواص الله ونعم الوكيل .

ومن **مبادئ الطريقة الشاذلية** : الحث على نشر الأخلاق والفضائل ، والتوحيد ، كما تهتم بالعلم الروحاني [1] .

وتعتمد الشاذليّة على خمسة أصول وهي :

- تقوى الله في السر والعلانيّة .

- إتباع السنة في الأقوال والأفعال .

- الإعراض عن الخلق في الإقبال والإدبار .

- الرضا عن الله في القليل والكثير .

- الرجوع إلى الله في السّراء والضّراء .

وِرْدْ الطريقة الشاذلية يقوم على الاستغفار مئة مرة ، والصلاة على الرسول ﷺ 100مرة ، وذلك كل صباح ومساء بالإضافة إلى حضور الحضرة مرة في كل أسبوع [2] .

4- الطريقة التيجانيّة :

تنتسب التيجانيّة إلى صاحبها الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد التيجاني الحسيني ، ولد سنة 1737م

بدائرة عين ماضي بولاية الأغواط الجزائرية ، لقب بالتيجاني نسبة للقبيلة التي تنتمي لها والدته وأخواله " بنو توجين " وفي أحد رحلاته إلى مكة لأداء مناسك الحج التقى بشيخ هندي يدعى أحمد بن عبد الله ، وبعد شهرين من اللّقاء مات الشيخ ، وورث عنه الشيخ تعاليم الطريقة الصوفية [3].

لقد ظهرت مبادئ الطريقة التيجانيّة من خلال مؤلفات بعض الأتباع وعلى رأسهم ابن العربي التيجاني ، وقد وضع الحاج عمر أسس هذه الطريقة التيجانيّة في كتاب الرماح (رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرجيم) [4] .

[1] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج02، ص 68.

[2] شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، دار الفكر ، ط03، 1981م ، ج01، ص 396.

[3] صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفيّة والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها ، دار البراق ، دط ، ص 116.

[4] المرجع نفسه ، ص 118.

أما ورد التيجانيّة فيقوم على قراءة فاتحة الكتاب ثم صلاة الفاتح " اللّهم صلي وسلّم على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، وخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق ، والهادي إلى صراط المستقيم ....الخ . بعدها يشرع في ذكر الوظيفة :" أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم ، سبحان ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين " مائة مرة ، ثم ذكر الجوهرة وهي مدح النبي صلى الله عليه وسلم إحدى عشر مرة ، ومن لم يحفظها يأتي بها ليلاً عشرين مرة مع دعاء الفاتح، وتختم الوظيفة بالآية الكريمة :(**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**)[سورة الأحزاب 56] .

5- الطريقة الطيبيّة :

قام بتأسيس هذه الطريقة الصوفي المغربي المعروف مولاي عبد الله بن ابراهيم الوزاني من أشراف المغرب الملّقب بالشريف ، المتوفي سنة 1678م ، غير أنّ الطريقة نسبت إلى أحد أولاده وهو مولاي الطيّب الذي بدوره درس في فامد ، وأخذ عن أكبر علمائها ، وقد عرف عنه التّقشف والزهد عن ملذات الحياة وزخارفها ، فعاش لذلك فقيراً معدماً لا يملك شيئًا ، حتى أنه عجز عن دفع مهر زوجته [1] ، أسس الشيخ زاويته وازدهرت الأولى وازدهرت ازدهارا كبيراً ، وكانت تطعم الطعام وتأوي الأيتام ، إذ بلغ عدد الذين تطعمهم الزاوية أربعة عشر ألف شخص [2].

بعد وفاة الشيخ تولي ابنه محمد إدارة الزاوية وفي عهده عرفت الطريقة توسعاً رهيبًا ، إذ انتشرت في الجزائر وأصبح لها فروع ومقدمون ومنها : الزاوية الطيبيّة في معسكر وقسنطينة ، هذه الأخيرة التي كان يشرف عليها الشيخ محمد بن بكر ، ومن أبطال هذه الطريقة في الجزائر نذكر البطل المجاهد محمد بن عبد الله الملّقب بـ " بومعزة " صاحب ثورة 1845م بنواحي الظهرة ، الحضنة أو الشلف حالياً .

قد كانت الطيبيّة أيضًا تستمد أصولها من الطريقة الشاذلية ، وهي تعتبر الصلاة على النبي " صلى الله عليه وسلم " أساس الذكر حتى أنّ الورد الذي لقنّه الشيخ عبد الله الشريف لأتباعه كان يتمثل في تكرير الصلاة على النبي ، وألّف مائة وأربعاً وعشرين مرة كل يوم .

تقوم مصادر الطريقة الطيبيّة على عملين أساسيين هما :" تحفة الإخوان بمبادئ مناقب شرفاء وزان"

تأليف حمدون بن محمد الفاسي ، و " الكوكب الأسعد في مناقب علي بن أحمد " تأليف محمد بن محمد المكناسي [3] .

6- الطريقة السنوسية :

[1] صلاح مؤيد العقبي ، المرجع السابق ، ص 227.

[2] صلاح مؤيد العقبي ، المرجع السابق ، ص 227.

[3] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 74 .

أسسها الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني المولود سنة 787 م ، بدوار " الطورش " بالقرب من مستغانم أخذ العلم على العديد من شيوخ التصوف ، درس بجامعة الأزهر الشريف ، وفي سنة 1825م ، وصل إلى مكة ، وهناك التقى الشيخ محمد ابن ادريس الفاسي شيخ الطريقة القادرية ، الذي ترك مكة سنة 1827م ، بعد أن طرده الحكام الوهابيون آنذاك ، وبعد ذلك أصبح الشيخ السنوسي ممثله بمكة [1] .

أسس السنوسي زاوية على تل " أبو قبيس " بمكة لتصبح مركزاً للطريقة التي استقطبت الكير من المريدين ، كما استثارت عداوة علماء الوهابيين والمؤسسات الدينية المحليّة الذين رفضوا اجتهادهم واعتبروه من البدع ، ترك الشيخ السنوسي مكة سنة 1840م ، وذهب إلى ليبيا ؛ حيث أنشأ أول زاوية بمنطقة البيضاء بالجبل الأخضر ، وبعدها أسس الكثير من الزوايا في مصر والسودان ، والجزائر ، وفي الأخير التقوا سنوسي في زاوية جغبوب في ليبيا ، وتوفي بها سنة 1859م ، وكان لها الدور الفعّال في طرد البريطانيين في مصر ، إذ كان لها جيش نظامي الذي تحالف مع الدولة العثمانية و أخرجت الاحتلال الإيطالي من طرابلس وفزان ، وأقفوا الزحف الفرنسي إلى الصحراء ، ولليوم لا تزال الزاوية السنوسية تنشط في الكثير من المناطق في إفريقيا السوداء ، كما لها العديد من الفروع في عدّة بلدان[2]

وكان منهجها يقوم على قواعد ثلاث :

- الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته .

ويقول أحد المتصوفة في إختلاف الطرق [3] :

الطُرُقُ شَتَى وطَرِيْقُ الحَّقِ مُفْرَدَةُ والْسَالِكُونَ طَرِيْقَ الحَّقِ أَفْرَاداً .

والنَّاسُ فِي غَفْلَةٍ عمَّا يُرَادُ بِهِمْ فَجُلهُمْ عَنْ طَرِيقِ الحَّقِ حِيَاد.

لاَ يُعْرَفُوْنَ وَلاَ تُسْلَكْ مَقَاصِدَهُمْ فَهُمْ على مَهْلٍ يَمْشُونَ فَسَاد .

5- طقوس الطريقة :

تقوم العلاقة بين الشيخ والمريد داخل الطريقة على التبجيل إلى حد التّقديس فالمنظم للطريقة " بين يدي شيخه كالميّت بين يدّي الغسال " [4] .

---

[1] أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 79.

[2] عبد الله زروقي ، المرجع السابق ، نقلا عن : الشيخ خالد بن تونس ، التصوف الإرث المشترك " مئوية الطريقة الصوفية العلاوية 2009/1909م " ، زكي بوزيد للنشر ، فرنسا ، 2009م ، ص 86.

[3] ابن عطاء السكندري ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ج01، دار الفكر للطباعة والنشر ، دت ، ص 103.

[4] عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية ، تحقيق وتعليق : أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987م ، ص 164.

لأنّ المريد ينفذ أمر الشيخ ، ولا يسأله ولو كان أمراً غير معقولاً – عليك أن تخدم الشيخ وتتم الإعتقاد معه وسرّ الله في صدق النيّة ، فالشيخ الملقن يتعهد المريدين بتربيتهم الفكرية والخلية والوجدانية ، ويكون بمثابة معلّم وأب روحي لأنّه يصنع من المريد شيخاً جديداً ، فبدون الشيخ لا شيء يمكن أن يسعف المريد لبلوغ مواده ، لا قدراته ، ولا أهليته ، ولا استقامته ، ولا صلواته ، ولا أدعيته ، ولا تهجداته [1].

إنّ سلوك الطاعة الذي يظهر في علاقة السيطرة بين الأب والابن ، الآمر والتابع في الطاعة والإنقياد ليست نفسها التي نجدها بين الشيخ والمريد لأنّ العلاقة بينهما في التلقين الصوفي الأعظم ، لا يضاهيها شكل في مجالات أخرى من الحياة [2] ، وتكتمل سيطرة الشيخ على المريد بإلباسه الخرقة التي تكون علامة التفويض والتسليم لهذا الشيخ ، وبتسلسل لبس الخرقة من شيخ لآخر ، لتكون السلسلة من المشايخ وهي لازمة لحصول البركة للمريد السالك [3] .

يدفع شيخ الطريقة الصوفية مريده إلى شعائر روحية ، تحصر الجهد العقلي في القيام بأفعال مكررة تبعدهم عن العالم الحقيقي وتجردهم من العالم المادي ومن الحكم على الأمور بحريّة [4] .

أمّا المريد فإنّه يجاهد بمختلف العبادات ليصل إلى مرحلة النفس النقيّة والكمال ، لهذا يعمل على أنّ:

- ينقي نفسه من ميله للشهوات .

- يستبدل هذه الشهوات بالحب .

- يتحول الحب عشقًا ، فيقع في رهيب العاطفة حتى يرتقي إلى حالة الوصل ، فتتحول النفس من النقاء إلى البقاء ، من خلال الهيبات الحيرة والإنهيار ، يف يتم ذلك ؟ .

يمكن الوصول إلى درجات الطريق بالزهد الصارم ، والصيام والتّأمل وقيام الليل ، وتتلخص هذه الشعائر عند المريدين أو الإخوان في :

- العزلة عن الناس .

- الخلوة .

- السهر .

---

[1] عبد الله حمودي ، الشيخ والمريد : النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة ، ترجمة : ع .المجيد جدقة ، ط01، دار طوبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 20000، ص 28.

[2] المرجع نفسه ، ص 27.

[3] أحمد بن محمد بناتي ، موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ، شركة دار العلم للطباعة والنشر ، ط01، جدة ، 1986م ، ص 215.

[4] **Charles Brosselard .les khouanes : dela Constitution des ordres religieux musulmans en Algérie .Imprimerie de Bourget .Alger .1952.p 20.**

- الصيام .

- الذكر ، للوصول إلى الوجد ، وذلك بترديد كلمة الله ، ومقاطع الورد .

- الاجتماع في أيام معلومة للأناشيد والاحتفال بخوارق مؤسس الطريقة :

- هذه الخطوات تتطلب القدرة والصبر ، لأنّ القليل فقط يتمكن من اجتياز هذه المراحل ، تبدأ حلقة الذكر بقراءة آيات قرآنية ، وأدعيّة من تأليف الشيخ ، وهذا ما يعرف بالحزب والورد المصحوب بالسماع .

- يقرأ "الورد " في أوقات منظمة ، فيقال أوراد الصباح ، المساء ، الجمعة ...، أمّا الحزب فليس لقراءته وقت مخصوص ، ومن أمثلة ذلك : الاستغفار ألف مرة ، وعلى رأس كل مئة مرة يقول : " أستغفر الله العلي العظيم الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم ، وأتوب إليه توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشور " ، ثم يكمل بالصلاة الإلهية على النبي صلى الله عليه وسلم مئة مرة ، ثم بلفظ الجلالة ألف مرة ، كما يعلّم الشيخ بعض الأسماء لتلاميذه ، ويطلب منهم إعادتها عدّة مرات في اليوم أثناء الصلاة .

هناك طريقتين للذكر :

- ذكر فردي بصوت مرتفع للمبتدئين أو منخفض للمتقدمين في الطريق ولأصحاب الخلوة ؛ حيث يذكر اسم الله باللسان والقلب ، وذكر جماعي بصوت مرتفع [1]

- ذكر باللسان .

- وذكر بالقلب وفيه يتوقف الصوفي عن الذكر باللسان ويبقى قلبه يذكر .

- ذكر بالسولوفية حس المريد بأنّه إذا بعد عن الذكر ، فالذكر لا يبتعد عنا ، وهذا هو إغناء الذكر والذاكر إلى الله ، والذكر بالروح ، وهو فناء الفناء في الله .

- ذك اللّسان ، يدخل المريد في " عالم الجبروت " والمراحل الأخرى تدخله الملكوت واللّاهوت ، الذات الإلهيّة ، ويتحقق ذلك بالوجد خلال التلفظ المتكرر والمستمر بالابتهالات القصيرة مع السيطرة على النفس ، والتناسب مع التمارين الجسدية ، والتوزان بين كلا من الذهن والجوارح ، للوصول لحالة الإنجذاب ليحصل التوّحد بين الباحث " الصوفي " والمبحوث " الذات الإلهيّة .

- بالنظر لما تقدم يمكن القول أن هدف الذكر ، سواء كان فردياً أو جماعياً هو تقريب الروح من الله بإيجاد علاقة مباشرة بين الخالق والمخلوق .

[1] عبد الوهاب شعراني ، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، ج02، دار النشر، بيروت ، 2003م ، ص 68.

المبحث الثالث : نماذج عن السينما الوثائقية والسارية

– أكد الدكتور الحبيب خاسري , رئيس مهرجان الدولي للفيلم الوثائقي بخريبكة بالمغرب , خلال مشاركته في فاعالية الملتقى ال 14 للتصرف بالمغرب على أن هناك علاقة وطيدة بين التصرف والسينما والفن بشكل عام , فهناك عديد من المسلسلات والأفلام التي جسدت شخصيات صوفية , واضهرت الجانب الروي الانساني للتصرف الاسلامية

– وتابع "ناصري" في حواره ("الصوفية اليوم "ان مشاركته في المتلقى العالمي للتصرف، تابعة من إيمانه الكبير إن التصرف منهج يحترم الفن والسينما ، ولا يقلل من شانه ، بخلاف التيارات الأخوى التي تكفر اهل الفن وتحاربهم لهذا المجال بل ان كثيرا من الطرق الصوفية حول العالم ، جسدت أعمال درامية خاصة بشيوخها واقطابها).[1]

فالسينما جميلة حينما تلامس موضوعات صوفية روائية او وثائقية، وبما أن الفيلم الوثائقي أو السينما الوثائقية كممارسة إبداعية لها رؤيا، فهي تكرس فرجنها ورسالتها لكل ما يعالج الواقع والمجتمع بطريقة خلافة فيها رؤيا وبصمة.

–فعلاقة السينما بالتصرف علاقة موجودة في العديد من الأفلام المغربية والعربية والإسلامية ، يكفي استحضار فيلم رابعة العدوية أو فيلم الجارات أبي موسى للمخرج المغربي محمد عبد الرحمان النازي أو فيلم مولانا جلال الدين الرومي للمخرج التركي سنم إلى عبر ذلك من الأفلام والتجارب السينمائية الروائية أو الوثائقية لتنصح لنا طبيعة هذه العلاقة الموجودة بين التصرف والسينما . طبعا من خلال السينما من الممكن تمرير العديد من الخطابات الروحية الصوفية لاسيما والتصرف له قيمة الفنية والجمالية والإنسانية ككل السينما بدورها نسعى إلى تحقيق هذه الصنع اه الإنسانية.[2]

– فمجرد مشاهدة أو صناعة أفلام وثائقية ندور حول التصرف، تصبح بدورها تجربة روحانية يبحث فيها الباحث المعنى الحقيقي لوجوده مريدا بذلك تحرير شيء ما او التو حر مع الطبيعة والعالم.

فالصوفية تخاطب الروح ، والسينما تخاطب الروح الصوفية تعتمد المعرفة على طريقة في الحياة تهدف إلى اكتساب المعرفة عن طريق عملية البحث عنها ، فالسينما الوثائقية تحرز خصوصيات التصرف وقضاياه ومعامله مع لقاء شخصيات بور هوز وشهود عيان وقامات ثقافية وأكاديمية للتحديث عن تجاربهم لتصبح جاهز لعين المتلقي.

2– نماذج عن السينما الوثائقية وسرائية:

فيلم الوثائقي قصة جلال الدين الرومي:

[1]– alsoufiaalyoum.com n’21/09/2020h15:53 رئيس الفلم الوثائقي بالمغرب هناك– ع

[2]– المصدر السابق

-هل يكون "السماع والرقص" طريق قد يوصل إلى الله أو أهل الرقص أمر سيئ وغير مفهوم في ذاته؟ أم أن هناك رموزا محجوبة وراء الحركة الظاهرة في الرقصة المولوية؟ يمكننا الاستماع لمولانا جلال الدين الرومي وهو قول: "إسماع هو شعور الإنسان يخالفه في اصغر خلية : إسماع ليس عبارة عن الدوران إذ كان الإنسان هو جالس يشعر في اعملقه بالخلق، فهذا يعني انه في حالة سماع"..

لنعرف أن السماع والرقص ليس مجرد أمور ظاهرة لا تكشف شيئا بحيل مولانا الرقص إلى رموز صوفية عميقة، إذا الدوران بطريقة معينة والملابس ترمز للروح البيضاء ثم القبر الأسود ويد مرفوعة للدعاء بالخير وبد أخرى تدعو للغفران الذنوب ، وبهذا أصبح الرقص ذا مذاق خاص .

في هذا الفيلم الذي أعدته الجزيرة الوثائقية تعريج على سرية أهم المتوصف على مر التاريخ الإسلامي ، الذي تحولت بسببه مدينة قوية قبلة للمسلمين والمسجين واليهود والبوذيين كذلك رسالة الحب والتسامح التي أرسلها ، ودواوين شعره التي طبعت بأغلب اللغات العالمية وبيع منها عدد لا يحصى من النسخ قي اثنان وخمسين دقيقة فقط سنتعلم الكثير عن الحياة هذا الرجل العظيم

-فيلم(2004)al-ghazali the alchemistdjha ppimess

- من الطبيعي أن السيرة الذاتية لأحد كبار المنصوفة سكون غنية بالمعلومات التي تعبر عن التصوف الصوفية، كيف إذا كان هذا الإمام أبو حامد الغزالي؟ الفيلم إنتاج ايطالي وخراج أمريكي للمخرج أبدول لاثيف سلازار، أما الموسيقى من تأليف **mont campbell** والمخرج الفني مالك جهان خزاعي ، ومؤلف القصة **simon van der borgen** ، تاريخ إصدار الأولى كان في 22 أكتوبر 2004 ، وقد نال الجائزة الثالثة في الجوائز الوثائقية التي ننظمها مؤسسة أناسي للإنتاج الإعلامي ، كما نال كذلك جائزة أفضل مخرج ، الفيلم يتناول حياة الإمام أبو حامد الغزالي رحمة الله عليه ورحلته المليئة والمفعمة بالمحطات الهامة التي أعطتنا الكثير عن التصرف والصوفية.

فيلمthe way of the herat

هي قصة سيد روحي جاء من الهند إلى المغرب ، تحديدا إلى لندن باعتباره ممثلا للموسيقى الهندية الكلاسيكية ، لكن الرجل بدأ في نشر التصوف في المغرب . "حضرت عنابة خان" كتب العديد من الكتب عن التصوف والإلهام، ونظرة الصوفية عن الحب والكرة وسعادة وغيرها ا من المفاهيم ،ـ مثل كتاب "تعاليم المتصوفين" في هذا الفيلم الوثائقي يعرض الفيلم لحياته ورؤيته للحياة من كتابة وإخراج **mischa scorer** .

وهناك العديد من الأفلام الوثائقية التي اختصت في مضمونها معنى التصوف والحياة الصوفية والمعالم الصوفية وكذلك تاريخ التصوف والطرق ومن بين هذه الأفلام تذكر:

-رابعة العدوية.. عن إيقونة الحب الإلهي

-صوفية الجزائر.. من جهاد المستعمر إلى أحضان السلطة

-الصوفية في ايطاليا

-سمير عوف: متصوف السينما الوثائقية

-"اللفيق"... راقص التنوره يحتفي بالكون وبدوره وبالحياة

-اكتشاف القلب: موسيقى التصوف

-ابن الفارض... سلطان العاشقين وشاعر الحب الإلهي.

خاتمة

خاتمة :

إنّ عصرنا الحالي هو عصر التكنولوجيا ، عصر الثورات العلميّة ، عصر الصراع والسلطة والهيمنة على العالم ، ومن بين الوسائل المهنيّة على العالم نجد الإنتاج السمعي البصري ؛ أي التلفزيون والسينما الذي لديه مكانة هامة وتأثير كبير على حياة الفرد والمجتمع ، سواء في الجانب المهني ، أو الثقافي ، أو الإقتصادي ، بل في جميع المجالات حتى في الحياة اليومية البسيطة .

خلاصة القول إنّ تناول الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي كنوع إبداعي داخل الجنس الوثائقي ، والبحث في خصائصه وأساليبه وتحديد ماهيته وأنواعه ، يتفتح على مجموعة من الإشكاليات ، ولعلّ أبرزها هي تلك المتعلقة بتقاطعاته مع الأنواع الوثائقية الأخرى ، وما مدى علميّة ما يقدّمه من حقائق حتى نَصِفُهْ بالأنثروبولوجي ؟ ، وكذا منسوب الذاتي والموضوعي في التصورات البانية له من قبل صانعه ، وهل يستحق أن يكون وثيقة علميّة تمنح لنا إمكانيّة الإطلاع والتعرف على الحقائق والوقائع السوسيوأنثروبولوجي التي يتضمنها ويطرحها ؟ ، أم أنّه مجرد وثيقة تفوّض إخضاعها للتحقيق العلمي قبل التسليم بمحتوياته ؟ أم أنّ الأمر يتعدى ذلك كله إلى المتلقي وفاعليته القابلة للتغيير والتجدد حسب سياقات تلقيه ؟ .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع باللغة العربية :

_ ابراهيم زرقاني ، مدارس واتجاهات الفلم الوثائقي ، مجالات الجزيرة الوثائقية الالكترونية **le 30-03-2020 a 18:05 ، htpp/Doc .aljazeera /net .magazine consulté**

_ ابن خلدون ، شفاء السائل وتهذيب المسائل ، تحقيق : الدكتور مطيع الحافظ ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط01، 1996م.

_ ابن عطاء السكندري ، إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ج01، دار الفكر للطباعة والنشر ، دت.

_ أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج04، " 1830-1954" ، ط01، دار الغرب الإسلامي ، بيروت.

_ أبي حامد الغزالي ، إحياء علوم الدين ، دار ابن حزم ، ط01، 2005م ، ج04.

_ أبي نصر السرّاج طوسي ، " اللّمع " ، تحقيق : عبد الحليم محمود طه عبد الباقي سرور ، دار الكتب الحديثة ، مصر ، دط.

_ إحسان إلهي ظهير، التصوف النشأة ومصادره ،ادارة ترجمان السنة ، لا هور ، باكستان ، دط .

_ إحسان ظهير ، التصوف الإسلامي ، المنشأ والمصادر ، ط01، إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، 1986م .

_ أحمد بن محمد بناتي ، موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ، شركة دار العلم للطباعة والنشر ، ط01، جدة ، 1986م ، ص 215.

_ آرثر نايت ، قصة السينما في العالم ، سعد الدين توفيق ، دار الكتب العربي للطباعة والنشر ، طبعة القاهرة ، 1967.

_ أرنست رينان ، ابن الرشد والرشدية، ترجمة : عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، 1957م .

_ الأمير عبد القادر الجزائري الحسني ، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، تحقيق : عاصم ابراهيم الكيالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004.

_ أنيسة زغدود ، جهود جمعية العلماء المسلمين في مقاومة الانحرافات الطرقية " 1931-1956م " ، رسالة ماجستير ، كلية أصول الدين ، قسم العقيدة ومقارنة الأديان ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية ، قسنطينة ، الجزائر ، 1999.

_ أوفدر هايدي " باتريشيا " ، الفيلم الوثائقي ، مقدمة قصيرة جدا ، ترجمة : شيماء طه الريدي ، مراجعة : هاني فتحي سليمان ، ط01، 2013.

_ أيمن عبد الحليم نصار ، إعداد البرامج الوثائقية ، دار المناهج للنشر ، عمان ، الأردن ، 2007..

_ إيهاب كمال أحمد ، " 2014/04/22" ، تعريف الأخلاق في اللغة والشرع والاصطلاح " **www.alukah .net** ، أطلع عليه بتاريخ : 2020/08/05 " بتصرف " .

_ باتريشيا أوفر هايدي ، الفيلم الوثائقي مقدمة صغيرة جدا ، تر: شيماء طه الريدي ، كلمات عربية للترجمة والنشر ، ط01، 2013.

_ بركات محمد رضا ، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي ، دار النشر الالكتروني ، دط .

_ البشير قلاتي ، منهج التربية الروحية عند الصوفية ، مذكرة موجهة لطلبة السنة 02 ماستر ، دعوة وثقافة إسلامية ، 2011.

_ تركي شهري ، أنواع الأفلام الوثائقية **http://www.docupicture .com .0211/08/documenteries .Types 12h38.28/08/2020.**

_ التلمساني " عبد القادر ، فنون السينما ، إعداد وترجمة : المشروع القومي للترجمة ، القاهرة ، 2001.

_ التهانوي ، الكشاف ، ج02، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ، ط02، القاهرة ، 1992م .

_ تي برو فيريس " نيكولاس " ، أساسيات الإخراج السينمائي – شاهد فيلمك قبل تصويره ، ترجمة وتقديم :أحمد يوسف ، المركز القومي للترجمة ، " القاهرة " ، ط01، 2014، .

_ تيلوين " مصطفى "، مدخل عام في الأنثروبولوجيا ، دار الفرابي " بيروت " ط01، 2011.

_ جبران مسعود الرائد ، معجم لغوي عصري ، دار العلم للملايين ، ط7، 1992م .

_ جولد تسيهر ، العقيدة والشريعة في الإسلام ، ترجمة وتحقيق : محمد يوسف موسى ، المركز القومي للترجمة ، دط .

_ الجوهري " محمد محمود " ، أسس البحث الاجتماعي ، دار المسيرة للنشر و التوزيع والطباعة ، ط02، 2012..

_ جيمس فريز ، الغصن الذهبي " دراسة في السحر والدين " ترجمة : أحمد أبو زيد ، ج01، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ط02، القاهرة ، 1998م

_ خزعل الماجدي ، بخور الألهة " دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين " ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ط01، عمان ، الأردن ، 1998م .

_ ديك " برنارد" ، تشريح الأفلام ، ترجمة : محمد منير الأصبحي ، منشورات وزارة الثقافة ، المؤسسة العامة للسينما ، " دمشق /سوريا " 2012،

_ راجع المناجاة ، ألكسيس كارل ، ترجمة : علي شريعتي ، طهران ، 1961،

_ سعيد مراد ، الفرق والجماعات الدينية في الوطن العربي قديماً وحديثًا ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية ، مصر 1997،

_ شكيب أرسلان ، حاضر العالم الإسلامي ، دار الفكر ، ط03، 1981م ، ج01.

_ الشماس " عيسى " ، مدخل إلى علم الانسان " الأنثروبولوجيا " دراسة منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2004.

_ صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفيّة والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها ، دار البراق ، دط .

_ ضياء مرعي ، السينما التسجيلية في مصر ، 1977/18/06، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط01، 2004.

_ عاصم علي الجرادات ، معالجة الأفلام التسجيلية للصراعات السياسية ، سلسلة سري للغاية في قناة الجزيرة أنموذج " مذكرة ماجستير " ، منشورة ، جامعة الشرق الأوسط ، 2009.

_ عامر النجاو ، الطرق الصوفية في مصر ، دار المعارف ، القاهرة ، دت

_ عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسي في الإسلام ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989م

_ عبد السلام حمود غالب " 2013/08/26" ، الأخلاق أهميتها وفوائدها ، www.alukah .net ، أطلع عليه بتاريخ : 2020/08/5 ، " بتصرف " .

_ عبد الكريم الفكون ، منشور الهداية في كشف حال من إدعى العلم والولاية ، تحقيق وتعليق : أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987م ،

_ عبد الكريم القشيري ، الرسالة القشيرية في علم التصوف ، تحقيق : معروف خريف ، وعلي أبو الخير ، دار الجيل للطباعة والنشر ، دمشق ، 1995م ،

_ عبد الله حمودي ، الشيخ والمريد : النسق الثقافي للسلطة في المجتمعات العربية الحديثة ، ترجمة : ع .المجيد جدقة ، ط01، دار طوبقال للنشر ، الدار البيضاء ، 20000،

_ عبد الوهاب شعراني ، اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر ، ج02، دار النشر، بيروت ، 2003م .

_ علي شريعتي ، معرفة الاسلام ، دار الأمير ، بيروت ، طبعة أولى .

_ علي عزيز بلال ، الفيلم التسجيلي التلفزوني من الفكرة إلى الشاشة ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، 2013.

_ عمار هلال ، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية ،وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007م ، ط01، 108.

_ فراس السواح ، دين الانسان ، " بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني " ، منشورات دار علاء الدين ، دمشق .

_ فريد دي بونج ، تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، ترجمة : عبد الحميد فهمي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، دط، 1995م

_ فهمي حسين ، قصة الأنثروبولوجية ، فصول في تاريخ علم الانسان ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 98، المجلس الوطني للثقافة والآداب ، الكويت ، فبراير ، 86 .

_ فهي " حسين " ، قصة الأنثروبولوجية – فصول في تاريخ علم الانسان ، سلسلة عالم المعرفة ، عدد 98، المجلس الوطني للثقافة والآداب – دار الكويت ، فبراير ، 1986

_ قمر الكيلاني ، التصوف الإسلامي ، المكتبة العصرية للطباعة والنشر ، بيروت ، 1984م .

_ كرم شبلي ، فن الكتابة للراديو والتلفزيون ، القاهرة ، مكتبة التراث الاسلامي ، بدون سنة نشر .

_ ليلى بنت عبد الله ، الصوفية عقيدة وأهداف ، دار الوطن للنشر ، الرياض ، ط01، رمضان ، 1410هـ

_ محمد عبد الله دراز ، الدين " بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان " مطبعة القاهرة ، 1979

_ محمد علي الفرجاني ، فن الشريط التسجيلي ، القاهرة ، الدار العربية ، بلا تاريخ

_ محمد كمال جعفر ، التصوف طريق وتجربة ومذهباً ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1980

_ محمود سامي عطا الله ، الفيلم التسجيلي ، الألف كتاب " ثاني 188، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دط ، القاهرة ، 1995

_ محي الدين ابن العربي ، رسائل ابن العربي ، إصطلاح الصوفية ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، دت .

_ مرشد السلوم كاظم ، سينما الواقع ، دراسة تحليلية في السينما الوثائقية ، دار أفكار للدراسات والنشر " دمشق " ط01، 2010

_ مصطفى اسماعيل" فاروق "، الأنثروبولوجيا الثقافية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، 1980

_ منى سعيد الحديدي ، الفيلم التسجيلي " تعريفه ، اتجاهاته ، أسسه ، قواعده " ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، 1982

_ ميرغني أبشر ، السرانية ، مقال في عقيدة الباطن ، كاف نون للنشر ، القاهرة ، 2007، طبعة أولى ، 2007م

_ نسيب محمد ، زوايا العلم والقرآن ، دار الفكر ، الجزائر ، 1981م

_ نشوان بن سعيد الحميري اليمني ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من العلوم ، دار الفكر المعاصر " بيروت – لبنان " دار الفكر دمشق ، سوريا ، ط01، 1999م ، ج07

المجلات :

_ نهلة عبد الرزاق الخالق ، دراسة تحليلية مضمون الأفلام التسجيلية الوثائقية في قناة الجزيرة الوثائقية الفضائية لمدة 2011/4/1، إلى 2011/4/30، " مجلة كلية الآداب المستنصرية ، العدد 98"

_ فرح شو 0000، مسألة بين قوسين في النهوض بالوثائق العربية ، تونس ، مجلة الإذاعات العربية ، العدد 04، 2002.

_ الشيخ خالد بن تونس ، التصوف الإرث المشترك " مئوية الطريقة الصوفية العلاوية 2009/1909م " ، زكي بوزيد للنشر ، فرنسا ، 2009م عبد الله زروقي ، نقلاً عن العيد مسعود ، حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني ، مجلة سيرتا ، عدد 03، ماي 1980م .

المراجع باللغة الأجنبية :

Charles Brosselard .les khouanes : dela Constitution des ordres religieux musulmans en Algérie .Imprimerie de Bourget .Alger .1952.p 20.
Documentry film .patricia Aufderheide .ox ford university .new York .2007.

الفهرس

كلمة شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

الفصل الأول : السينما الوثائقية و الأنثروبولوجيا

المبحث الثاني : الفيلم الوثائقي الأنثروبولوجي..... 02

المبحث الأول : الفيلم الوثائقي 12

الفصل الثاني : مراحل الاكتساب اللغوي عند الطفل

المبحث الأول : التّصوف والطرق الصوفية 18

المبحث الثاني : الطرق الصوفية وأهمها 30

المبحث الثالث : نماذج عن السينما الوثائقية والسارية 40

خاتمة..... 44

قائمة المصادر والمراجع 46

فهرس المحتويات 53